فلسفة الأخلاق عند

الفارابي

الدكتور
ناجي التكريتي



www.dardjlah.com

فلسفة الأخلاق

عند الفارابي

فلسفة الأخلاق

عند الفارابي

تأليف

الدكتور ناجي التكريتي

2012



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2011/5/1802)

189.51

التكريتي ، ناجي عباس .

فلسفة الأخلاق عند الفارابي / ناجي عباس التكريتي. عمان: دار دجلة 2012.

(156) ص

ر.إ: (2011/5/1802).

الواصفات:/ فلسفة الأخلاق // الأخلاق // الفلسفة الإسلامية /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

الآراء الموجودة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الناشرة



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171- الأردن

جمهورية العراق

بغداد- شارع السعدون- عمارة فاطمة

تلفاكس: 0096418170792

خلوي: 009647705855603

E-mail: dardjlah@yahoo.com

www.dardjlah.com

978-9957-71-209-9: ISBN

المقدمة

ولد أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، في مدينة فاراب، وتجمع المصادر، على أن الفارابي، حين قدم إلى العراق كان عمره، قد تجاوز الثلاثين عاماً من حياته. إذا كانت المصادر تجمع أن الفارابي قد توفي في دمشق عام 339هـ وانه عمر 80 عاماً، فهذا يعني أن تاريخ ولادته هو 260 هجرية.

لاشك أن بغداد، حين قصدها الفارابي، كانت عاصمة الثقافة العربية — الإسلامية وحاضرة الدولة العباسية. أن الهجرة إلى بغداد، من الإقاليم الإسلامية، سواء أكان ذلك من الشرق أم من الغرب، معروفة، كون الطلبة العرب والمسلمين، يتجهون إلى بغداد للدراسة وأرتشاف العلم.

أن هذا الشيء معروف في مختلف صنوف المعرفة. أن المجال هذا لا يتسع لذكر العلماء والأطباء والأدباء، الذين قصدوا بغداد من أجل الدراسة في مدارسها، ونبغوا في الفلسفة والنحو والطب والتاريخ ورواية الأخبار.

المهم أن بغداد كانت مركزاً حضارياً عربياً كبيراً، في مختلف صنوف المعرفة. لقد انتقل إلى بغداد علماء اللغة، الذين ورثوا دراسة اللغة والأدب، في مدرستي الكوفة والبصرة الشهيرتين. حلقات التصوف موجودة ومدارس الفقه مزدهرة. أما الفلسفة فانها بدأت تتحرر من مدارس علم الكلام وتزدهر في بغداد، في كتابات الكندي وابي بكر الرازي وغيرهما من علماء العقيدة والاطباء الذين مالوا الى التفلسف.

لابد ان الفارابي قد وجد في نفسه نجابة وذكاء وتطلعاً إلى ارتشاف المعرفة. لهذه الأسباب، فأنه قصد بغداد من أجل دراسة الحكمة في مدارسها وحلقاتها، التي كانت تنشط في كل مكان.

ان ما يذهل المتتبع لدراسة حياة الفارابي، أن أبا نصر حين استقر في بغداد، لم يكتف بدراسة فرع واحد من فروع المعرفة، أذ حاول أن يحيط بكل صنوف الحكمة، شأنه شأن اي شخص عالي الهمة، يسعى ان يكون فيلسوفاً متكامل الكيان.

يبدو — كما تذكر المصادر - أن الفارابي حين وصل إلى بغداد لم يعرف اللغة العربية، وحتى إذا كان يلم بمبادئ اللغة، فأنه لم يكن متمكناً من اللغة العربية. ان أسلوبه الكتابي، يشير بوضوح، إلى أنه تعلم اللغة العربية، وهو في زمن متقدم من عمره. أن أسلوب الفارابي غير مشرق في الكتابة، كما هو الحال في أسلوب الفيلسوف أبي بكر الرازي، أو أسلوب اخوان الصفاء، أو أسلوب الغزالي.

ليس من السهل أن نحكم على الفارابي، انه يجهل اللغة العربية تمام الجهل، أبو نصر نشأ وترعرع في بلد إسلامي، ولابد من أنه درس مبادئ اللغة العربية في فاراب، ثم اشتاقت نفسه لزيادة الإطلاع والتطلع على اغتراف العلم من بغداد عاصمة الحضارة وقتذاك.

تشير المصادر، إلى أن الفارابي درس النحو والبلاغة في حلقة السراج اللغوي التي كان يعقدها في بغداد، لتدريس فنون اللغة والنحو والبلاغة، أن هذا يعني أن الفارابي لم يبدأ من الصفر، بل أنه أتقن اللغة على يد عالم نحوي كبير في بغداد هو السراج.

الفارابي — إلى جانب دراسته للنحو وتعمقه في النحو — درس الطب والموسيقى وعلم الفلك والرياضيات، هذا إلى جانب الفلسفة والمنطق الذي تعلمهما على أيدي أشهر مدرسين للفلسفة، هما يوحنا بن حيلان وابو بشر متى بن يونس.

اشتهر الفارابي، في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، مترجماً وشارحاً ومؤلفاً، حتى أنه عدّ مؤسس الفلسفة الإسلامية، أنه قدم كثيراً من مؤلفات افلاطون وأرسطو، بطريقة شارح متمكن للفلسفة اليونانية، كما أنه ألف أكثر كتبه في بغداد.

انه فضلاً عن ذلك، صار معلماً للفلسفة، كأي فيلسوف موسوعي، مطلع على شؤون الفلسفة، تاريخاً وجوهراً. أنه استطاع أن يكوّن مدرسة، امتد أثرها إلى نهاية القرن الرابع الهجري، عرفت بمدرسة بغداد الفلسفية. أنهم تلاميذ الفارابي، الذين يعدّون — في كتاباتهم من صغار الفارابيين.

لعل أشهر تلاميذ الفارابي، هو يحيى بن عدي التكريتي، الفيلسوف المشهور، الذي رأس مناطقة بغداد بعد الفارابي، وأن من طلبة تلك المدرسة المشهورين أبو سليمان المنطقي وأبن زرعة وابن الخمار ومسكويه وأبو حيان التوحيدي وأبو يوسف العامري.

في أواخر حياته، وبالتحديد فأنه في سنة 330 هجرية غادر بغداد إلى حلب. الفارابي طوال حياته بقي مخلصاً لدراسة الفلسفة وتدريسها، قانعاً بحياة بسيطة زاهدة، حتى أنه قيل، حين قضى سنواته الأخيرة في حلب، كان يعيش من أجرة حراسته لبستان، انقطع فيه، من أجل الدراسة والتأمل والتأليف.

المهم أن الفارابي قد اشتهر كفيلسوف كبير، وذاع خبره، فاستدعاه سيف الدولة الحمداني، ويقال أنه خصص له راتباً، اكتفى الفارابي بأخذ ما يقيم أوده، وقيل أنه اكتفى بأخذ أربعة دراهم فقط، ويقال أنه كان يحيا من أجر حراسته البستان، الذي اتخذه مكاناً للقراءة والتأمل، سافر إلى مصر سنة 338، ثم عاد إلى دمشق فتوفي فيها سنة 339هـ.

نبغ الفارابي، بسبب كونه عاش، في فترة ازدهار الحضارة العربية الاسلامية، في القرنين الثالث والرابع للهجرة. المد الحضاري هذا، الذي عاشه الفارابي كان نتيجة لبناء حضاري، ترجع جذوره إلى الأدب والشعر والحكمة قبل الإسلام، ثم ما جاء به الإسلام من تنزيل القرآن الكريم، وما جرت عليه من شروح. الأحاديث النبوية وفقه الفقهاء، إضافة إلى المدارس الكلامية، التي ابتدأت بدراسة القرآن والحديث، ثم كان المعتزلة والأشاعرة.

لعل أول من تفلسف عند العرب، هو الكندي الذي تطور فكره من علم الكلام إلى الفلسفة. يمكننا أن نعد الكندي أول فيلسوف، كان بالإمكان عده مؤسس الفلسفة الإسلامية، لو وصلت إلينا كتبه كاملة. الترجمة كان لها أثر كبير في نمو وازدهار الفلسفة، ولاسيما تلك الكتب الفلسفية، التي ترجمت من اليونانية.

وهكذا ينتهي الفكر الإنساني، شرقيه، وأعني به ما ترجم من الحكمة الهندية والحكمة الفارسية، وغربية ما ترجم من اليونانية، حين سادت الفلسفة العربية – الإسلامية، وازدهرت في بغداد، مشعل النور، التي أنارت حضارتها دروب الجهل في أوربا. وهكذا استطيع أن أعد االفارابي هو مؤسس الفلسفة العربية – الإسلامية، لما قدم من فكر فلسفي أصيل، في شتى صنوف المعرفة، من فلسفة ومنطق وعلم وموسيقى، أما كتبه في الاجتماع والسياسة، فمشهورة، وقد أثرت في فلاسفة المغرب، الذين اثروا بدورهم في أوربا. انه المعلم الثاني، وقد اشتهر كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) حتى أنه عرف بصاحب المدينة الفاضلة.

لاشك أن فكر الفارابي مزيج من الدراسات القرآنية وما تبعها من مدارس فقهية وكلامية، ومن تأثره بالفلسفة اليونانية، ولاسيما فلسفتي افلاطون وارسطو. الفارابي درس الفلسفة اليونانية وتأثر بها، غير انه وقف موقف الدارس الناقد المتفحص، الذي يقبل شيئاً ويرفض شيئاً آخر.

لاضير في ذلك، إذا ما علمنا أن الحضارة الإنسانية واحدة، والحضارات المحلية، كالأنهار تأخذ بمقدار وتعطي بمقدار. إذا كان لكل حضارة محلية طابعها الخاص، فأن الحضارة الإنسانية، هي البحر المحيط، الذي يشترك فيه الإنسان، في كل مكان وزمان.

لاشك ان الفارابي منطقي كبير ورياضي ممتاز انه لو لم يكن رياضياً كبيراً، لما استطاع كتابة كتابه الشهير (الموسيقى الكبير)، أما المنطق فأنه كان استاذ فلاسفة بغداد، حتى أن تلاميذه قد اشتهروا باسم مناطقة بغداد من بعده، مثل يحيى بن عدي التكريتي وأبو سليمان المنطقي وابن زرعة وابن الخمار وغيرهم.

ربما كان الفارابي قد درس الطب، لكنه لم يحترف الطب. المهم القول، أن الفيلسوف ينبغي أن يدرس الطب وباقي العلوم، إضافة إلى دراسة اللغة والأدب. بعض الفلاسفة مارسوا الطب عملياً إلى جانب الفلسفة مثل أبو بكر الرازي.

المهم في القول، أن المسلمين لم يكتفوا بالدراسة النظرية، بل كان لهم دور كبير في العلم العملي. أن منهجهم التجريبي معروف، بل هم الذين أسسوا الإتجاه التجريبي، وأخبارهم مشهورة في تشريح الجسم الإنساني، وقياس الأرض وصنع العدسات.

أن المنهج العلمي التجريبي، كان له أثره الواضح في الحضارة الأوربية، حين وصلت النظريات العربية مكتوبة، عن طرق كثيرة مثل الأندلس التي كان يدرس الأوربيون في مدارسها العربية، كما أن صقلية كانت واسطة نقل إلى روما. الحروب الصليبية واتصال الأوربيين بالشرق العربي مباشرة، نقل إليهم كثيراً من النظريات العلمية.

لعل أهم الكتب العلمية العربية، التي أرخت لعلوم الفلاسفة العرب وذكرت كتبهم بالتفصيل هي كتاب الفهرست لأبن النديم، وطبقات الأطباء لأبن أبي اصيبعة، وكتاب أخبار الحكماء للقفطي، وكتاب الحكماء لأبن جلجل، وكتاب طبقات الأمم لصاعد الأندلسي، هذا إلى جانب كتب الفلاسفة العلماء انفسهم مثل: الرازي والفارابي وأبن سينا، والتي كانت تدرس كتب الطب منها، وإلى عهد قريب، في الجامعات الأوربية.

ولد الفارابي في فاراب، وهذا ما يتفق عليه أغلب مؤرخي الفلسفة، اما ابن النديم والبيهقي، فأطلقا على المدينة أسم فاراب. مع ذلك، فأن ابن النديم ذكر أن فاراب تقع في خراسان، والبيهقي قال أنها في تركستان.

المهم في الأمر، أن أبا نصر قد ولد في منطقة تقع ضمن الدولة العربية الإسلامية، التي عاصمتها بغداد. الآن نلاحظ أن عدة دول تحتفل بذكراه. روسيا السوفيتية، كانت تحتفل بذكرى الفارابي، لأنه ولد في كازاخستان. إيران تحتفل به، لأن منطقة خراسان تقع ضمن حدود إيران. تركيا تختفي به لأنها تظن أن عروقه

تركية. سوريا تحتفل ايضا، لأنه عاش ردحا من حياته في حلب. كل هذه الاحتفالات علامات ثقافية صحية لا بأس بها، لكن العاصمة المهمة في حياة الفارابي، التي من حقها أن تحتفل بذكراه كل عام، هي بغداد عاصمة الخلافة، التي كان لها الأثر الأكبر في ثقافته وإرساء استاذيته في الفلسفة.

تذكر أكثر المصادر أن الفارابي حين وصل إلى بغداد، قد تجاوز الثلاثين من سني عمره. الشيء المؤسف، أن تاريخ حياة الفارابي قبل مجيئه إلى بغداد، شبه مجهول لكثير من الدارسين. لم يشر إلى ذلك مؤرخو حياته، ولا ذكر دارسو فلسفته تاريخ حياته الأولى، ولاسيما في طفولته وشبابه.

المعروف عن الفارابي أنه كان يجيد أكثر من لغة، من اللغات الحضارية المعروفة، التي يمكنه بها أن يطلع على مصادر الثقافة، ولاسيما كتب الفلسفة. من تلك اللغات التي كان يجيدها — إلى جانب اللغة العربية — اللغات الفارسية والتركية والآرامية والسريانية واليونانية. أن تعلمه لهذه اللغات، وربما هناك لغات محلية قد اتقنها، تدل على أنه قد ساح في كثير من البلدان في شبابه. أن سن الشباب يساعد على السفر وتحمل مشاق الرحلات، كما أن سن الشباب يساعد على تعلم اللغات بيسر وسهولة.

مهما يكن، فأن تلك الفترة الأولى من حياته ما تزال مجهولة أمام الدارس. السبب — كما يخيل إلي- أنه لم يكن مشهورا في شبابه، كما أنه لم يؤرخ حياته بنفسه، كي يطلع الآخرون على سيرته. كذلك فأنه إذا تنقل في المدن العربية والإسلامية. فأنها كلها كانت تقع ضمن دولة الخلافة العربية الإسلامية.

لم تخبرنا كتب تاريخ الفلسفة، أن الفارابي سافر إلى اليونان — مثلاً — للإطلاع على الفلسفة اليونانية في مهادها أو أنه قصد الهند للاطلاع على حكمتها. أنه ربما تجول دارسا في مدن عربية وإسلامية، كأي طالب علم في شبابه، وهذا شيء معروف، لا يجلب انتباه أحد، ولا حدث غريب كي يلفت أنظار المؤرخين.

يذهب البعض في الرأي، إلى أن الفارابي، قد تعلم اللغة االعربية في بغداد، وانه كان يجهل اللغة العربية قبل وصوله إلى بغداد. أن هذا يعني أن الفارابي دخل بغداد أعجمي اللسان. هذا الراي غير منطقي ولا يقبل التصديق، لعدة أسباب. ولعل أهم سبب هو أنه من غير المعقول، أن يتعلم إنسان لغة جديدة وهو في العقد الرابع من عمره، وينبغ فيها فيلسوفاً وكاتباً في أدق وأعقد شؤون المنطق والفلسفة، السبب الثاني، أن اللغة العربية هي لغة الثقافة في الأمصار. أن كثيراً من الفلاسفة نبغوا في الفلسفة والطب، وقرأوا وكتبوا في اللغة العربية مؤلفاتهم الخالدة، وهم في بلاد الأعاجم، كأبن سينا مثلاً. السبب الثالث، أنه أتفق مع بعض نحاة بغداد المشهورين مثل ابن السراج أو ابو سعيد السيرافي، أن يعلم النحوي أصول الفلسفة والمنطق، والنحوي يعلمه أصول النحو، أن هذا الراي لأخير، يبرهن على أن الفارابي كان يجيد اللغة العربية، وإلا كيف كان يعلم الفلسفة لأساتذة النحو. أما دراسته على يد النحويين، فهذا يدل على أنه يعرف اللغة، ولكنه أراد أن يتقن قواعد النحو اتقاناً كاملاً، كي يتمكن من الكتابة. السبب الرابع، أن من المعروف، أن الفارابي يتقن عدة لغات. هل من المعقول أنه تعلم عدة لغات ثانوية، دون أن يدرس اللغة العربية، وهي اللغة الأم، لغة الحضارة العربية الإسلامية، في رقعة الدولة الممتدة من الأندلس إلى الصين.

أما دراسته للفلسفة، فقد كانت على مرحلتين المرحلة الأولى في حران، على يد يوحنا بن حيلان (ت 318 هـ) المعروف أن حران، التي تقع في شمال العراق، كانت مركز الصابئة، وكانت مشهورة بدراسة الفلسفة، وترجمة الفلسفة اليونانية، إلى اللغة السريانية، أو اللغة العربية مباشرة، المرحلة الثانية من حياته التعليمية كانت في بغداد، حين درس الفلسفة والمنطق على استاذين كبيرين، هما يوحنا بن حيلان نفسه بعد انتقاله إلى بغداد، وعلى متي ابن يونس (ت 328هـ) المشهور بتدريس الفلسفة المنطق، والمترجم للفلسفة من اللغة اليونانية واللغة السريانية.

إذا كان الفارابي قد وصل إلى بغداد في بدايات القرن الرابع الهجري، فهذا يعني أنه وجد بغداد في عز رقيها الحضاري، إذا ما علمنا أن القرن الرابع الهجري قد سجل المد الحضاري الحقيقي، للحضارة العربية الإسلامية، في الفلسفة والنثر والشعر، والتأليف في مختلف صنوف المعرفة، علم وطب وفلك وهندسة. هذا إضافة إلى أن بغداد قد ترجمت في بيت الحكمة كثيراً من كتب الفلسفة اليونانية، منذ أواخر القرن الثاني الهجري، وعلى امتداد القرن الثالث الهجري، قام بالترجمة، مترجمون أفذاذ، من أمثال ابن ماسويه وحنين بن اسحق، وابنه اسحق بن حنين، ويحيى بن عدي التكريتي وغيرهم.

حين مكث الفارابي في بغداد ما يزيد على عشرين عاماً، التي كانت أخصب سني حياته على الإطلاق، أنه إضافة إلى أستاذيه اللذين علماه المنطق والفلسفة، يوحنا بن حيلان ومتي بن يونس، وفضلاً عن قراءته الشخصية في متون الكتب، فأن بغداد كانت تزخر بالعلماء من كل صنوف المعرفة. كانت هناك المدارس الفقهية، وكانت المدارس الكلامية، والحوار مازال قائماً بين أرباب العقل وأرباب النقل، هذا إلى جانب المدارس الصوفية، حين كانت بغداد تزخر بكثير من أقطاب التصوف، على المستويين العمليين والعلميين.

لاشك أن الفارابي قد اغترف من معارف كل فئة من هذه الفئات، وهذا ما ظهر لاحقاً، في سلوكه الزاهد في الحياة، والذي هو أقرب إلى حياة المتصوف. أما كتاباته، فكانت عبارة عن دوائر معارف، اتسعت لكل صنوف المعرفة، من فلسفة ومنطق وفن واجتماع ونفس وتصنيف العلوم.

اتجه بعد ذلك إلى بلاد الشام، كما أنه قد زار القاهرة. ذهب في أول الأمر إلى حلب، وعاش في كنف أميرها سيف الدولة الحمداني، ثم سافر بعد ذلك إلى مدينة دمشق وأقام فيها حتى وفاته فيها عام 339هـ لاشك انه عاش في دمشق حياة نسك وزهد في بستان، كما يقال، يخلو للتأمل والتأليف، بعيداً عن الزحام والضوضاء.

لا جدال في أن الفارابي هو مؤسس الفلسفة الإسلامية، أنه إضافة إلى كتاباته الكثيرة في صنوف المعرفة، فهو قد فسر الفلسفة اليونانية، وقربها للأذهان، ولاسيما كتاباته المقارنة بين فلسفتي أفلاطون وأرسطو.

حين غادر بغداد إلى حلب ودمشق، خلف وراءه مجموعة من مناطقة بغداد، راسهم بعده يحيى بن عدي التكريتي. اشتهرت هذه المدرسة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وكان لها أثرها الواضح على الثقافة العربية. عرفت هذه المدرسة باسم مدرسة بغداد الفلسفية، أو مدرسة أبو سليمان المنطقي السجستاني، لأن الأعضاء كانوا يجتمعون في بيته.

عرف فلاسفة بغداد هؤلاء، الذين اشتهروا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، أنهم فارابيون صغار. السبب في وصفهم فارابيين، لأنهم كانوا تلاميذه ومتأثرين بمنطقه، أما أنهم صغار، لأن لا أحد منهم وصل إلى مرتبة عالية في الفلسفة. من هؤلاء يحيى بن عدي التكريتي وابو سليمان المنطقي، وابن الخمار وابن زرعة وغيرهم كثيرون.

الأديب العربي الكبير ابو حيان التوحيدي منهم، لأنه فضلاً عن كونه كاتباً كان يتفلسف بسبب اتصاله بهم واجتماعه معهم وتتلمذه عليهم، ولهذا عرف أنه ((اديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء)) لقد ارخ ابو حيان التوحيدي اجتماعاتهم وكتب عن اخبارهم في كتابيه الشهيرين (المقابسات) و(الامتاع والمؤانسة). ولعل اعضاء هذه المدرسة لهم الفضل الكبير على احد تلاميذهم الذي اشتهر باسم ابن مسكويه.

أما تلميذه غير الزمني، الفيلسوف الكبير والطبيب المشهور ابن سينا (ت 428هـ) فأنه يقر بفضل الفارابي على الرغم من أنهما لم يلتقيا. ابن سينا يعترف بفضل الفارابي الفلسفي عليه من ناحيتين الناحية الاولى أن فلسفة الفارابي اغنت عقله، إضافة إلى أن كتب الفارابي – كما يعترف ابن سينا قربت إليه الفلسفة اليونانية وأوضحتها له، وجعلته يدخل بسهولة إلى مغاليق الفلسفة اليونانية.

نلاحظ ان ابن سينا يعترف صراحة بتأثير الفارابي عليه، حين يقول:

((أما ابو نصر الفارابي، فيجب أن يعظم فيه الاعتقاد، ولا يجري مع القوم في ميدان، فيكاد يكون افضل من سلف من السلف)). أما فلاسفة المغرب في الأندلس، فأن أثر الفارابي فيهم واضح، وأنهم يكبرون فلسفته وآراءه ويقدرون ما قدم للفلسفة من تأليف وشروح. لعل أهم الذين أثر فيهم من فلاسفة المغرب، ويعترفون بفضله، ابن رشد (ت595هـ) وابن سبعين (ت601هـ) وابن طفيل (ت581هـ) وابن باجة (ت 533هـ).

أن فلاسفة المغرب هؤلاء، قد تأثروا بشكل واضح بفلسفة الفارابي. وأنهم يعترفون بذلك. يمكننا أن نقدر مدى أهمية تأثير فلسفة الفارابي في فلاسفة الأندلس، إذا ما عرفنا فلسفات وآثار هؤلاء قد اثرت تأثيراً كبيراً في نهضة اوربا الثقافية. أن الدراسات عن فلسفة ابن رشد والرشدية، أشهر من أن تذكر، في المحافل والجامعات الأوربية، ولاسيما في التيار الفلسفي الأرسطي في فلاسفة أوربا في القرون الوسطى. تصوف ابن سبعين واضح، في كثير من الفلاسفة والكتاب الأخلاقيين في أوربا. أما ابن طفيل، فأن قصته حي بن يقظان قد اثرت تأثيراً مباشراً في الرواية الأوربية، بل انها هي التي وجهت أدباء أوربا نحو كتابة الرواية ورسم خططها، حين اقتفوا أثرها في كتابة رواياتهم، اعتباراً من الكاتب الإنجليزي دانيال ديفو الذي كتب روايته الشهيرة روبنسون كروسو، التي كان لها أثر كبير في الرواية الأوربية ورسم درب كتابة الرواية عند كثير من الروائيين، مع أن أثر قصة حي بن يقظان واضح جداً في رواية روبنسون كروسو.

أن من حق الفلاسفة العرب، الإعتراف بفضل الفارابي عليهم والإشادة بفضله، إذا ما عرفنا، أن فلسفة الفارابي تميزت بالموسوعية، لأنه كتب في كل صنوف المعرفة، إلى جانب دراسته لفلسفتي افلاطون وأرسطو دراسة معمقة وتوضيحها وإلقاء الضوء على الغامض من مصطلحاتها.

لقد اشتهر كتاب (الجمع بين رايي الحكيمين افلاطون وأرسطوطاليس) بأن الفارابي فيلسوف تأملي تأويلي، يحاول التوفيق والتنسيق، بطريقة عقلية منطقية. وعلى الرغم من البعض أنتقد الفارابي، لأنه يدرك أن كتاب الربوبية (أثولوجيا) هو لأرسطو ولكن مع ذلك، فإذا كان الفارابي أدرك الهدف من المقاربة بين فلسفتي افلاطون وأرسطو، فأننا نعرف جيداً، ان ارسطو تلميذ أفلاطون المباشر، وأن فلسفة أرسطو ما هي إلا صدى وشروح لفلسفة أستاذه أفلاطون.

ترك الفارابي كتابات فلسفية ضخمة، شملت مختلف فروع المعرفة. وكما ذكرت اعلاه، فقد كتب الفارابي، في المنطق والطبيعيات والرياضيات وما بعد الطبيعة والفلك والموسيقى والطب والشعر والخطابة والسياسة والاجتماع، هذا إضافة إلى كتبه التي خصصها لشرح الفلسفة اليونانية، ولاسيما فلسفتي أفلاطون وأرسطو.

مهما يكن، فأن الفارابي قد خلف أكثر من مائة كتاب ورسالة، ضاع قسم منها — كما هو شأن كثير من تراثنا الأدبي والفلسفي، بسبب ما اصاب بغداد من فيضانات ومن غزوات الأجانب، مثل المغول الذين احرقوا كثيراً من الكتب أو اغرقوها في نهر دجلة، أو الأتراك الذين نقلوا كثيراً من كتب بغداد إلى استنبول وأودعوها في الدهاليز والكهوف المرطبة المظلمة — وقسم من كتب الفارابي قد طبعت ونشرت، بعضها طبعات محققة تحقيقاً علمياً، وبعضها نشر فحسب. اما القسم الثالث فما تزال مخطوطة ترقد على رفوف المكتبات.

أن غزارة مؤلفات الفارابي، جعلت بعض كتبه متداخلة، وبخاصة كتبه المنطقية والسياسية السبب يعود إلى كثرة الشروح، وربما السبب يرجع إلى النساخ ايضاً. كتبه في السياسة والاجتماع، اشبه بشروح وتعليقات على ما جاء من آراء فلسفية في كتابه الشهير (آراء أهل المدينة الفاضلة).

الغريب في الأمر، أن مؤرخي الفلسفة، لم يذكروا عدد كتبه كاملة، كما انهم يختلفون في ذكرها، ولم يتفقوا على ذكر عدد مؤلفاته، كما هو شأنها. او ربما ان

السبب يعود لعدم إطلاع أولئك المؤرخين على فهرس الكتب كاملة، وربما أن السبب لأنهم عاشوا في عصور متباعدة ابن النديم — في كتاب (الفهرست). يذكر للفارابي سبعة كتب فقط. صاعد الأندلس في كتاب (طبقات الأمم) يدرج فقط أربعة كتب لا اكثر. جمال الدين القفطي في كتابه (تاريخ الحكماء) يذكر أربعة وسبعين كتاباً من مؤلفات الفارابي، أما ابن أصيبعة في كتابه (طبقات الأطباء) فيسمي مائة وثلاثة عشر كتاباً من كتب الفارابي.

لاشك أن الفارابي بدأ التأليف بالكتب المنطقية، سواء أكانت تلك الكتب التي ألفها من وضعه، أو تلك التي وضع عليها شروحه المطولة وتفسيراته المبسطة، أما االكتب السياسية والاجتماعية فقد جاء تأليفها متأخراً وربما هو قد كتبها خلال إقامته في دمشق، في سنواته الأخيرة.

أما في المنطق، فمن كتبه (الأوسط الكبير) ويشمل المدخل على (ايساغوجي) و(المقولات) و(كتاب العبارة) و(التحليلات الأولى) وهي القياس و(التحليلات الثانية) وهي البرهان و(كتاب الجدل) و(كتاب السفسطة) الحكمة المموهة و(كتاب الخطابة) و(المختصر الصغير) في المنطق على طريقة المتكلمين و(فصول) يشتمل على ما يضطر إلى معرفته من أراد الشروح في صناعة المنطق و(كتاب الألفاظ المستنبطة في المنطق) و(رسالة في قوانين صناعة الشعراء).

أما كتبه في العلوم الطبيعية، وتجمع الطبيعة والنفس معاً، فأهمها (شروح لكتاب الطبيعة لأرسطاليس) و(كتاب في أصول علم الطبيعة) و(رسالة في احكام النجوم) و(رسالة في وجوب صناعة الكيمياء) و(رسالة في علم المزاج) و(رسالة في معاني العقل) و(رسالة في ماهية النفس).

أما في الرياضيات، فمنها (شرح للمقالة الأولى والخامسة من كتاب اقليدس) و(رسالة في دقائق الأشكال الهندسية) و(كتاب المنتخب من المدخل في علم الحساب).

في حقول المعرفة العامة له (كتاب إحصاء العلوم)، الذي يعد اول موسوعة لتحديد العلوم ومصادرها والتعريف بها و(كتاب الجمع بين الحكيمين أفلاطون وأرسطاليس).

أما في الاجتماع والسياسة والأخلاق فله (كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة) وهو من أهم كتبه في هذا الشأن، وقد اشتهر الفارابي كصاحب المدينة الفاضلة و(تحصيل السعادة) و(التنبيه على سبيل السعادة) و(السياسة المدنية) و(الفصول المدنية) و(كتاب تلخيص نواميس أفلاطون) و(كتاب الحكمة) وله شرح على كتاب (الأخلاق) لأرسطوطاليس.

وفي ما بعد الطبيعة، فمن أهم كتبه (كتاب الحروف) و(كتاب التعليقات) و(فصوص الحكم) و(فلسفة ارسطوطاليس) و(عيون المسائل) و(أغراض ما بعد الطبيعة) و(الواحد والوحدة) و(رسالة في العلم الإلهي).

في الموسيقى له كثير من الرسال والكتب، أهمها (الموسيقى الكبير)، الذي يعد أدق ما دون من هذا العلم، في العصور القديمة والحديثة. في كتابه هذا، يذكر الفارابي ما أضافه من جديد في الموسيقى، من الناحية العملية.

الفصل الأول

أصل الدولة والمجتمع

ينظر الفارابي إلى طبيعة الإنسان، من خلال ممارسة الفرد في المجتمع.

أن الإنسان يمكن أن يكون فاضلا أو شريرا من خلال الممارسة التي يباشرها مع الآخرين ويعتادها فيصبح له طبعاً أو اشبه بالطبع. الفارابي إذن يرى انه لا يمكن أن يفطر الإنسان من أول أمره بالطبع ذا فضيلة ولا ذا رذيلة، كمايمكن أن يكون الإنسان بالطبع معداً نحو افعال الكتابة او صناعة اخرى، بأن تكون افعالها اسهل عليه من افعال غيرها، فيتحرك من أول امره إلى فعل ما هو بالطبع، لأنه أسهل عليه مالم يحفزه من خارج إلى ضده حافز.

الاستعداد الطبيعي إذن برأي الفارابي لا يقال له فضيلة، ولكن يقال فضيلة متى استعمل الاستعداد الطبيعي وكرر واصبح الفعل متمكنا من صاحبه بالعادة والممارسة، عند ذاك يحمد الإنسان على اتيانه أعمال الفضيلة، كما انه يذم إذا ما صدرت عنه اعمال تؤدي إلى الرذيلة.

أنه عسير أن يوجد من هو معد بالطبع نحو الفضائل كلها، الخلقية والعقلية، كذلك لا يمكن أن يوجد شخص معد لكل الصنائع ايضاً. وفي الوقت نفسه لا يمكن أن يوجد من هو معد بالطبع للشرور كلها. ومع هذا نجد أن الفارابي كفيلسوف كبير لا ينسى أن يشير إلى أن الأمرين جميعاً غير ممتنعين.

أن الأغلب في هذه الحياة أن يكون الإنسان معداً نحو فضيلة واحدة أو عدة فضائل محدودة، كما هو معد نحو صناعة واحدة أو عدة صنائع محدودة، فكل واحد في المجتمع معد نحو فضيلة أو صناعة معينة. وهكذا يحدث التكامل والتعاون والانسجام في المجتمع.

مهما كانت الاستعدادات الفطرية نحو الفضيلة أو الرذيلة عند الإنسان، فأن العادة هي التي تمكن الفضيلة أو الرذيلة. وإذا ما تأصلت العادة يتم تكوين الإنسان خلقياً، وأن زوال الهيأة الخلقية صعب، سواء كانت خيراً أو شراً. إذا مارس الفضيلة وتمكنت فيه العادة، يكون مثل هذا الإنسان قد ارتقى إلى أرفع منزلة، حتى يكاد

يسمى بالإنسان الإلهي أو ما نطلق عليه باللغة المعاصرة بالإنسان الكامل. أن مثل هذا الإنسان يرفع إلى أعلى مرتبة ويصلح ان يدبر المدن ويرأسها، ويسميه الفارابي: الملك في الحقيقة.

أما المضاد فهو الذي تتمكن منه الشرور بالعادة، حتى يكون أشبه بالسباع لإفراطه في الشر، وأنه قد تجاوز الإنسانية المتعارف عليها في المجتمع.

ويحبذ الفارابي أن يخرج أمثال هذا من المدن. أن مثل هذا الشرير عكس الإنسان الفاضل. ولكن مع هذا فالفار ابي يعتبرهما طرفين بالنسبة لمجموع السكان، ويقول أن وجودهما في الناس قليل. المهم أن الفضائل والرذائل الخلقية عند الفارابي تحصل وتتمكن في النفس بتكرير الأفعال والعادة لها، حتى تصبح فضائل الخبرة والأفعال الردئية رذائل.

نلاحظ أنه يعطي اهمية كبيرة للمارسة والاخلاق في تغيير طبيعة الإنسان، إذ عنده أن الإستعداد الطبيعي نحو فضيلة أو رذيلة يمكن أن يزال أو يغير بالعادة زوالا تاماً، ويطبع في النفس هيئات مضادة ومنها ما يكسر ويضعف وتنقص قوته من غير أن يزول زوالاً تاماً، ومن الطبائع مالا يمكن أن تزال أو تغير، ولكن مع هذا فالفارابي ينصح إزاءها بالصبر وضبط النفس والمحاولة بفعل أصدادها. ومع هذا يفرق الفارابي بين الرجل الفاضل وبين الضابط لنفسه. أن الرجل الفاضل يعمل الخيرات وهو يهواها ويشتاقها ويستلذها لأنه يتبع بفعله هذا ما ينصحه إليه هيأته وشهوته. اما الضابط لنفسه فأنه يفعل الافعال الفاضلة وهو يهوى الشر ويتشوقه، فهو إذن يخالف بفعله ما تنهضه إليه هيأته وشهوته.

يعرف أبو نصر الفضائل بأنها هيئات نفسانية وملكات متوسطة بين هيئتين، كلتاهما رذيلتان، احداهما أزيد و الأخرى أنقص، فأن الأفعال المعتدلة هي التي تكون خيرات، ويعطي أبو نصر عدة أمثلة من الفضائل الخلقية كالعفة التي

تتوسط بين الشره والجمود، والسخاء الذي هو وسط بين التقتير والتبذير، والشجاعة التي هي وسط بين التهور والجبن.

ويضرب الفارابي ضربة عبقرية عندما يعطي للبيئة في تكوين طبيعة الإنسان، وما لها من اثر كبير في ذلك. أنه يرى أن المساكن قد تولد في أهلها أخلاقاً مختلفة، فالذي يسكن مساكن الشعر والجلود في الصحاري تتولد عنده ملكات التيقظ والحزم، وربما يزداد الامر فيه حتى يولد الشجاعة والإقدام. والمساكن المنيعة الحصينة تولد في أهلها ملكات الجبن والأمان.

يقال أن الإنسان عاقل وأنه يعقل متى اجتمع له شيئان، احدهما أن يتمتع بجودة تمييز تجعله يؤثر أو يجتنب ما يصادفه من أفعال، والثاني أن يجعله تمييزه يستعمل الأفضل ويتجنب الأردأ، فإذا قلنا أن فلانا له عقل، فهذا يعني أنه تنبه إلى ما كان غافلاً عنه.

ونقول عقل، فنريد أنه حصلت فيه المعقولات متصورة مرتسمة في نفسه. ونقول فيه انه عاقل، ونحن نريد بقولنا حصلت المعقولات في نفسه، هو أن يعلم المعقولات، وأنه لا فرق هنا بين أن يقال عقل وبين أن يقال علم، وبين العالم والعاقل وبين المعقولات وبين المعلومات.

ولذا فأنه يفضل حياة الحكمة، إذ أن الحكيم أفضل الأشياء بأفضل علم، وأن العلم الأفضل هو العلم التام الذي لا يزول لما هو لا يزول. فلذلك حكيم بحكمه استفادها بعلم شيء آخر خارج عن ذاته، بل ذاته كفاية في أن يصير حكيماً. وأن طريق السعادة عند الفارابي، عندما تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج قوامها إلى مادة، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد، وأن تبقى على تلك الحالة دائماً ابداً.

وهكذا نراه يريد من الإنسان أن يرقى بعقله ويبتعد عن المادة، ويكون ذلك عن طريق أفعال إرادية، بعضها أفعال فكرية وبعضها أفعال بدنية. والسعادة هي الشيء

المطلوب لذاته، وليس وراءها شيء آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها. أن الأفعال الجميلة تنفع في بلوغ السعادة والافعال القبيحة تعوق عن السعادة.

نلاحظ انه فيلسوف ربط الاخلاق بالسياسة، فهو بالرغم من اهتمامه بالسياسة وإعطائه اهمية كبرى لرئيس المدينة الفاضلة أو مدبر المدن، لأن هدف هذا الرئيس هو االذي يوجه أهل المدينة إلى طريق الحكمة وتحصيل الفضائل الخلقية والعقلية، ويكون ذلك بالتأديب الذي يكون مرة بالإقناع وتارة بالإكراه مادام الهدف من ذلك جعل اهل المدينة سعداء.

الإنسان عند الفارابي كائن اجتماعي، ويذكر في كتابه السياسة المدنية: أن الإنسان من الأنواع التي لا يمكن لها بالضروري من امورها ولاينال الأفضل من احوالها إلا بالاجتماع. أما كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة، فأنه يخصص فيه فصلاً للقول في احتياج الإنسان إلى الإجتماع والتعاون.

أن الفارابي يرى أن كل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في أن يبلغ افضل كمالاته إلى اشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده، إذ أن الإنسان مهما عظمت ملكاته فأنه يستطيع أن يجيد عملاً معيناً واحداً او ربما عدة اعمال، إلا انه لا يتمكن من القيام بالأعمال كلها. أن الفطرة الطبيعية جعلته قاصراً من أن يكفي نفسه بنفسه، فهو محتاج إلى الآخرين الذين يقوم كل منهم بعمل معين، متعاونين حسب القدرات والميول، التي توجد في كل واحد منهم. وهكذا لا ينال الإنسان الكمال إلا بعد أن يجتمع مع الجماعة فيحصل من جراء التعاون مع الآخرين على كل ما يحتاجه، والذي به يبلغ الكمال وبتجمع الإنسان تكون المعمورة من الأرض، وتحدث الاجتماعات الإنسانية.

أن الخير الأفضل والكمال الأقصى أنما ينال بالمدينة، وأن الخير عند الفارابي ينال بالاختيار والإرادة، وكذلك الشرور أنما تكون بالإرادة والاختيار.

الفارابي هنا إرادي وليس جبرياً، فالإنسان يستطيع بتصميمه وإرادته أن يعمل الفضائل ويأتي الخير ويبتعد عن طريق الشرور، هذا إذا أراد أن يسير في طريق الكمال ويبلغ السعادة القصوى عن طريق العقل والحكمة. كذلك في الوقت نفسه قال الإنسان بإختياره يكون شريراً عندما يسير عن طريق الرذائل ويتجنب البر والخير .

والشيء الذي يريده الفارابي من وراء هذه الفكرة، أن المدينة بإجتماعها وتعاونها يمكن أن تنال السعادة، وأن المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال السعادة في الحقيقة، هي المدينة الفاضلة. والاجتماع الذي به يتعاون على نيل السعادة في الحقيقة، هي المدينة الفاضلة. والاجتماع الذي به يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع هو الاجتماع الفاضل. وكما أن الاجتماع الفاضل في مدينة واحدة يحقق المدينة الفاضلة كذلك الأمة التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة هي الامة الفاضلة.

ولاشك أن الفارابي يقصد بالأمة (الملة) الفاضلة، الأمة الإسلامية. لم يكتف الفيلسوف المسلم بالنظر في أمر المدينة الواحدة، ولا في أمر الأمة الواحدة التي تكون دولة معينة، بل أنه بثقاب عبقرية ينظر نظرة أوسع وأبعد، أنها في الحقيقة نظرة مستقبلية عميقة، إذ انه يرى أن الأمم إذا تعاونت على بلوغ السعادة، يمكن أن تتحقق المعمورة الفاضلة.

وإذا أردنا أن نقارن آراء الفارابي في مجال نشأة الدولة وأصل المجتمع مع فلاسفة آخرين، سابقين ولاحقين، نجد أن ارسطو لا يقول بإنسانية الإنسان الذي يعيش منفرداً، إذ عنده أن الإنسان الطبيعي الذي يعيش مع عائلة ومجتمع، وأن مقولته معروفة في هذا الشأن . فهو الذي يقول أن الإنسان مدني بالطبع. أن السعادة عند أرسطو غاية الإنسان وأنها أعظم الخير ات، وأنها تتم بالسيرة الحسنة، وأن السيرة الصالحة تتم في المجتمع. أن ارسطو يرى المشاركة في الحياة مع الآخرين، وأن الفضيلة لا تتم إلا في المجتمع. أن الإنسان السعيد ينبغي أن يكون حياته لذيذة، وهذا يتم في

المجتمع، بينما الإنسان المتوحد تكون حياته ثقيلة عليه، بينما الذي يحيا بصحبة الآخرين تكون حياته أيسر. كما أن ارسطو يقرر أن القوانين قد وجدت لحماية الجماعة، وأن القوانين عادلة مادام هدفها سعادة الجميع. الذي يخرق القانون فهو ظالم، اما العادل براي ارسطو فهو الذي يوزع الموارد العامة والأشياء المشتركة ويقسمها على الجميع بحسب التناسب الذي يستحقه كل واحد.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن ارسطوليس أول فيلسوف قال أن الإنسان مدني بالطبع، فقد سبقه استاذه أفلاطون إلى ذلك، إذ خصص الكتاب الثاني من جمهوريته لمناقشة فكرة الدولة والمجتمع، إذ أن الإنسان براي افلاطون محتاج إلى الآخرين، وهذا هو سبب منشأ المجتمع والدولة.

ويصور لنا أفلاطون حياة الفطرة السليمة في المجتمع الاول الذي يتكون من الزراع والحاكة والأساكفة والرعاة والصناع، انهم يجنون ذرة وخمرا ويصنعون ثيابا واحذية ويشيدون لأنفسهم بيوتاً، ويمكنهم العمل صيفاً أكثر الوقت بدون احذية ولا اردية، أما في الشتاء فيجهزون بما يلزمهم منها، ويقتاتون بالقمح والشعير، ويصنعون خبزاً وكعكاً ويجلسون على أسرة مصنوعة من اغصان السرو والآس، ويتمتعون بصفاء العيش مع أولادهم. وبلا شك تنشأ بعد هذا تجارتهم الخارجية مع البلدان الاخرى، ثم تتطور حياتهم البسيطة إلى حياة الدولة بكل ما فيها من قوانين ورجال اعمال وإداريين وشعراء وأطباء. وكذلك يملي عليهم احتكاكهم مع الدول المجاورة إلى تكوين جيش لرد إعتداء المعتدين كذلك تنشأ في هذه الدولة طبقة حكام. وعند أفلاطون، ان هؤلاء الحكام يجب أن يتمتعوا بالقوة والشجاعة، ولكن مع هذا لا ينسى أفلاطون شرطه الاساسي في الرجل الحاكم، وهو أن يكون عنده ميل إلى الفلسفة ليخلق منه الملك الفيلسوف.

أما من الفلاسفة اللاحقين، فهناك المفكر العربي الكبير ابن خلدون الذي يرى أن اجتماع الإنسان شيء ضروري، وأن العمران برأيه أنما يحصل عن طريق الاجتماع.

ويضيف ابن خلدون قائلاً الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان لا تصلح حياته إلا بالغذاء. كما نلاحظ بعض الآراء عند ابن خلدون تشابه أفكار الفارابي، عندما يذكر أن الإنسان الفرد لا يستطيع ان يكفي نفسه بنفسه لضروريات حياته ولذا فهو محتاج إلى الآخرين، لأن الحياة الاجتماعية لا تتم إلا بصناعات متعددة واختصاصات كثيرة كالزراعة والحدادة والنجارة، وكل مهنة من هذه المهن تحتاج إلى آلات متعددة، ومن المستحيل أن يفي شخص واحد بذلك، ولذا فهو يحتاج إلى معاونة بني جنسه حتى يحصل الجميع على كفايتهم عن طريق التعاون كما يشير أبن خلدون إلى أن الإنسان يحتاج إلى الآخرين في الدفاع عن نفسه والاستعانة بأبناء جنسه، وذلك لأن الإنسان اضعف قوة من كثير من الحيوانات العجم أن كل إنسان يتميز بقوة الفكر، وحركة اليد التي خلقت مهيأة للصنائع بخدمة الفكر، فاستطاع الإنسان أن يعد السلاح ليحمي نفسه من شرور الحيوان.

الاجتماع إذن عند أبن خلدون ضروري للنوع الإنساني، وإلا فأن وجودهم لم يكمل. نلاحظ أن وجود الإنسان عند ابن خلدون يكون بالاجتماع فالإنسان إذن قبل ان يجتمع ليس له وجود وأن عمران العالم يكون بالاجتماع. يقرر بعد هذا ابن خلدون أن الاجتماع إذا حدث وتم عمران العالم فلابد للبشر من الحكم الوازع يدفع عدوان بعضهم على بعض، وذلك لأن فيهم طباعاً حيوانية من العدوان والظلم، وأن الذي يستطيع أن يكف العدوان هو الرئيس، الذي هو عند ابن خلدون، السلطان أو الملك.

لم يكتف ابن خلدون بوصف الاجتماع الأول وتكوين المدينة، بل أنه يذهب أكثر من ذلك فيشير إلى أن الإنسان بعد الاجتماع والتعاون كما هو ضروري، إذ يعمل البعض في الفلاحة، والبعض في تدجين الحيوان، ويكون أول أمرهم سد حاجتهم وكسب معاشهم وبناء عمرانهم من القوت للغذاء، وما يجلب الدفء من البناء، المقدار الذي يحفظ الحياة. أما بعد ذلك فأن اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل

لهم ما فوق الحاجة من الغنى دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها، وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار، واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج ومغالاة البيوت والصروح، ويتخذون القصور والمنازل، ويبالغون في اختيار الجيد من الملابس والفراش والآنية. هؤلاء برأيه هم الحضر أهل الامصار والبلدان، الذين ينتحلون الصناعة والتجارة، وتكون حياتهم أرفه من المجتمعات البدوية والزراعية.

أما توماس هوبز، فأنه لا يعتقد بوجود غريزة طبيعية في الإنسان تحمله على التعاون والاجتماع. أنه يرى أن الإنسان الاول في حالة حرب مع اخيه الإنسان، أو بعبارة أخرى أن الإنسان ذئب للإنسان، وأن الكل في حرب مع الكل، ولذا فأن شعور القوة عند الفرد تجعله يستأثر بأكثر ما يستطيع من خيرات الأرض، وإذا افتقر الإنسان إلى القوة لجأ إلى الحيلة. أن هوبز يضرب أمثلة على ما كان يعمله الإنسان الأول في معاملة بعضهم البعض، وذلك يذكر ما نتخذه نحن جميعاً من تدابير الحيطة وأساليب العدوان، وكذلك ما نراه من علاقة الدول بعضها ببعض، وأن كل ما تصنعه الحضارة هو أن تحجب العدوان بستار الأدب، وان تستبدل العنف المادي بالنميمة والحيلة والانتقام في حدود القانون.

ويقول هوبز بعد ذلك بنظرية التعاقد والتسامح، وإلا يصنع الإنسان بالغير ما يكره أن يصنعوا به ويكون التعاقد بأن يتنازل كل فرد عن حقه المطلق في حال الطبيعة، إلى سلطة مركزية قد تكون فرداً أو هيئة اجتماعية تعمل لخير المجموع، وتكون سلطتها قوية مطلقة حتى تقضي على الخصام بين الأفراد، وعنده أن الملكية خير أشكال الحكومة.

لعل كل متعلم يقرأ قول جان جاك روسو المشهور، ((أن الإنسان يولد حراً ولكن الإنسان يوجد مقيداً في كل مكان))، أما مجتمع الأسرة بنظر روسو هو أقدم

المجتمعات، وهو المجتمع الطبيعي الوحيد، وذلك لأن الأولاد يبقون مرتبطين مع الأب إلى الزمن الذي يشعرون أنهم لم يعودوا يحتاجون رعاية الأب في حفظ انفسهم. عند ذاك يحلون انفسهم، وان هذه الحرية – كما يرى روسو – هي نتيجة طبيعة الإنسان لأن قانون الإنسان الأول هو أن يعنى ببقائه الخاص، وواجبه تجاه نفسه يعني هو اول ما يحرص عليه.

أن الإنسان المتوحد برأي روسو سعيد، لأنه حر وحاجاته قليلة، وكل إنسان مساو لكل إنسان، وهذه حالة الإنسان الأول، ولكن ظروف الطبيعة كالبرد والزلازل والفيضان اضطرته إلى الاجتماع بالآخرين. أن الإنسان بعد أن عرف الزراعة واستعمال الحديد زاد تعاونه واشتد الخصام، فيضع الأقوياء قوانين يكبلون فيها الفقراء الضعفاء. أن روسو يرى أن يتنازل كل فرد عن حقوقه للشعب بأكمله بموجب عقد، ويكون هذا العقد أساس المجتمع الحقيقي الذي تسوده المساواة والقانون ويصبح كل عضو كجزء من المجموع، ويكون الجميع مشتركين في السلطة ذات السيادة.

ومع أن هذا الإنسان يخسر من جراء العقد الاجتماعي حريته الطبيعية، لكنه مع هذا فهو يكسب الحرية المدنية، وكذلك الحرية الأدبية التي تجعل وحدها الإنسان سيد نفسه، لأن صولة الشهوة وحدها هي العبودية، وأن طاعة القانون الذي نلزم به أنفسنا هي الحرية. فليس من الصواب في قانون التملك أن يغتصب من الآخرين ما تنعم عليهم به الطبيعة من المأوى والغذاء ولا أن يستولي على أرض واسعة، بل له الحق أن يستولي على أرض غير معمورة بأحد، وأن يستولي على مقدار ضروري لعيشه، وأن يعمرها بالعمل الحرث وحتى إذا اتحد الناس قبل حيازة اي شيء فأنهم إذ يستولون فيما بعد على أرض كافية للجميع يتمتعون بها مشاعاً أو يقتسمونها فيما بينهم بالتساوي أو على حسب النسب التي يضعها الرئيس، ومهما يكن الوجه الذي يتم به هذا الإكتساب فأن حق كل فرد على عقاره الخاص يكون دائماً لحق الجماعة على الجميع، وفي هذا تكون قوة الرابطة الاجتماعية، وحقيقة

ممارسة السيادة ان المجتمع يجب أن يدار على أساس المصلحة المشتركة للجميع، وأن الإرادة العامة وحدها هي التي يمكنها أن توجه قوة الدولة وفق هدف نظامها الذي هو الخير العام. وأن الإرادة العامة هي التي تميل إلى المساواة. ان الإرادة العامة صائبة دائماً، انها تهدف إلى النفع العام.

المجتمعات عند الفارابي على نوعين، كاملة وغير كاملة. والكاملة تقسم إلى ثلاثة، عظمى ووسطى وصغرى. العظمى اجتماع الجماعة كلها في المعمورة.ويقصد الفارابي هنا بهذا المجتمع العظيم، اجتماع واحد لجميع البشر دون تمييز، ونستطيع القول أنه من الناحية السياسية لابد أنه يقصد بدولة واحدة تجمع البشرية كافة، ولاشك أن هذا الفيلسوف الكبير قد سبق غيره من الفلاسفة والمفكرين شرقاً وغرباً، بقرون كثيرة عندما تخيل مجتمع الإنسانية الواحد، أما المتجمعات الثانية فهي الوسطى، ويعني الفارابي اجتماع أمة في جزء من الأرض، والصغرى اجتماع أهل المدينة في جزء من مسكن أمة. اما غير الكاملة فهي اجتماع اهل القرية، واجتماع أهل المحلة فاجتماع في سكة، ثم اجتماع في منزل. أن اجتماع المنزل، ونعني به اجتماع العائلة، يعتبر أصغر المجتمعات في رأي الفارابي، أنه يعتبر أن مجتمع المنزل جزء من السكة، والسكة جزء من المحلة، والمحلة جزء من المدينة كذلك يعتبر أن القرية خادمة المدينة، ولاشك أنه يعني أنها تمون المدينة بمواد الزراعةوالأغذية. كذلك عند الفارابي، أن المدينة جزء من الأمة. والامة جزء من جملة أهل المعمورة. ولاشك ان تقسيم الفارابي هذا للمجتمعات تقسيم عالم صائب ما يزال يصدق على تكوين وكمال المجتمعات حتى في عصورنا الحاضرة.

ان مجتمع المنزل يلتئم ويعمر من الأسر التي هي برأي فيلسوفنا محدودة تتكون من الزوج والزوجة ووالد وولد ومولى وعبد وقنية ومقتنى. ولاشك ان الفارابي من ناحية أراد أن يوصل رابطة الوالد بالولد، أو بعبارة أخرى الجد بالحفيد، وذلك لا بأس به من ناحية ترابط الأسرة وعدم تفككها والمحافظة على الحقوق

والواجبات بين الأب والأبن، كما أن القنية المعتدلة شرط ضروري للحياة الكريمة، ولكن الغريب أن يشترط الفيلسوف للعائلة عبدأ ومولى، فهل هو يقصد العائلة المقتدرة من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، أن المدبر لهذه العائلة هو رب المنزل، وأن مدبر المنزل في المنزل هو مثل مدبر المدينة في المدينة.

المدينة قد تكون ضرورية وقد تكون فاضلة. المدينة الضرورية هي التي يتعاون اجزاؤها على بلوغ الضروري فيما يكون به قوام الإنسان وعيشه وحفظ حياته فقط، أما المدينة الفاضلة فهي التي يتعاون أهلها على بلوغ أفضل الأشياء التي بها يكون وجود الإنسان وقوامه وعيشه وحفظ حياته.

يريد أبو نصر من أهل المدينة الفاضلة أن يعملوا أشياء مشتركة لابد من العلم بها بصفتهم أهل مدينة فاضلة. اول هذه الأشياء معرفة السبب الأول وجميع ما يوصف به ثم الأشياء المفارقة للمادة وما يوصف به كل واحد منها بما يخصه من الصفات والمرتبة إلى أن تنتهي من المفارقة إلى العقل الفعال، وفعل كل واحد منها، ثم الجواهر السماوية وما يوصف به كل واحد منها، ثم معرفة الأجسام الطبيعية التي تحتها وكيف تتكون وتفسد، وأن ما يجري على أحكام وإتقان وعناية وعدل وحكمة، وأنها لا إهمال فيها ولا نقص ولا جور ولا بوجه من الوجوه. كذلك كون الإنسان، وكيف تحدث قوى النفس، وكيف يفيض عليها العقل الفعال الضوء حتى تحصل المعقولات الأول، والإرادة والاختيار، ثم الرئيس الاول وكيف يكون الوحي، ثم الرؤساء الذين ينبغي أن يخلفوه إذا لم يكن هو في وقت من الاوقات، ثم المدينة وأهلها، والسعادة التي تصير إليها أنفسهم، والمدن المضادة لها وما تؤول إليه أنفسهم بعد الموت، فبعضهم إلى الشقاء وبعضهم إلى العدم ثم معرفة مزايا الأمم الفاضلة والأمم المضادة لها. وأن المدينة الفاضلة لهم أشياء مشتركة يعلمونها ويفعلونها، واشياء أخر من علم وعمل يخص كل رتبة وكل واحد منهم، وبهذين يبلغ كل منهم السعادة، وكلما داوم على الفعل اكسبته أفعاله هيئة نفسانية جيدة فاضلة، وكلما داوم عليها أكثر صارت هيئته

أقوى وافضل وتزايدت قوتها وفضيلتها. أن الممارسة والمداومة والرياضة، كل هذه لها أثر في الإلتذاذ وشعور الإنسان بالإغتباط ويزيد العمل محبة حتى ينال السعادة.

اما مضادات المدينة الفاضلة، فأنه يذكر المدينة الجاهلية والمدينة الفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة. أما اهل المدينة الجاهلية فأنهم لم يعرفوا السعادة الحقيقية، وذلك لأنهم عرفوا من الخيرات من التي تظن أنها هي الغايات في الحياة، وهي سلامة الأبدان واليسار والتمتع باللذات، وأن هم الواحد منهم ان يكون مكرماً معظما في هذه الحياة وأنهم يعتقدون ان هذه هي السعادة. أما الشقاء عندهم فهو آفات الأبدان والفقر وعدم التمتع باللذات. وهذه بلاشك خيرات ولذائذ تهم البدن وأنها زائلة، وكذلك المنزلة الاجتماعية التي ينشدها أهل المدينة الجاهلية أن يكونوا مكرمين معظمين، وحتى هذه الخيرات فأنهامتغيرة متبدلة تخضع لعوامل التغير والزمن.

ويقسم المدينة الجاهلية إلى عدة مدن منها: المدينة الضرورية وهي التي يقتصر أهلها على ما هو ضروري في الحياة من المأكول والمشروب والمسكون، والتعاون على حصول هذه الأشياء والإستفادة منها.

والمدينة المبدلة والتي يكون غرض أهلها اليسار والثروة، منهم يتعاونون على جمع الثروة ولكن لا يكون غرضهم نحو هدف آخر من خلال اليسار وأنما اليسار هو غايتهم في الحياة.

ومدينة الخسة والشقوة، والتي يكون غرض أهلها التمتع باللذات الحسية من مأكول ومنكوح وإيثار اللعب والهزل.

ومدينة الكرامة وكل ما يهم اهلها هو ان يكونوا مكرمين ممدوحين، سواء بعضهم البعض أو من قبل الآخرين.

ومدينة التغلب ويكون هدفهم في الحياة أن يكونوا الغالبين لغيرهم من المدن والقاهرين لها، وأن لذاتهم في الغلبة والقهر.

المدينة الجماعية وهي التي قصد أهلها أن يكونوا أحراراً يعمل كل واحد منهم ما شاء لا يمنع هواه في شيء أصلاً.

أما ملوك المدن الجاهلية، فأن الفارابي يرى أن ميزتهم وتسلطهم يكون حسبه هو من هؤلاء الملوك وميلهم ليس إلا.

أما المدينة الفاسقة فهي التي يتميز اهلها بأن آراءهم فاضلة ، ويعرفون طريق السعادة ويعلمون الله والعقل الفعال، وباختصار أنهم يعلمون كل ما يعلمه أهل المدينة الفاضلة ويعتقدون، ولكن فعلهم يكون مثل افعال أهل المدن الجاهلية.

والمدينة المبدلة وهي التي كانت آراؤها وأفعالها في السابق آراء المدينة الفاضلة وافعالها، غير انها تبدلت فدخلت فيها آراء غير تلك واستحالت أفعالها غير تلك.

والمدينة الضالة وهي تعتقد في الله عز وجل، آراء فاسدة، ويكون رئيسها ممن يوهم الآخرين بأنه رجل يوحى إليه، ويستعمل في ذلك التمويهات والمخادعات والغرور.

وبما أن رئيس المدينة او الملك مهم جداً لأنه الرأس الاول والعضو المهم في المدينة به تدمر المدن الفاضلة وتعمر، ولكن مع هذا فأن صفات المدن المذكورة أعلاه مضادة لصفات وميزات المدن الفاضلة.

نلاحظ أن الفارابي في تقسيمه لأجزاء النفس الإنسانية وحدوث قواته واحدة بعد الأخرى، يرى أن لكل قوة من هذه القوى رئيساً وتوابع، أي أنه بعبارة أخرى يجعل لكل جزء من النفس وكأنه جزء من مدينة فيه رئيس وفيه مرؤوسون. أن الفارابي يرى أن اول ما يحدث الإنسان، القوة التي يتغذى بها والتي تسمى بالقوة الغاذية، وهي التي يتغذى بها الإنسان ومن القوة الحاسة وهي التي يحس بها، ثم القوة المتخيلة وهي التي تركب المحسوسات بعضها إلى بعض وتفصل بعضها عن بعض، ويقترن بها نزوع نحو ما يتخيله. وبعد ذلك تحدث القوة الناطقة التي بها يمكن أن يعقل المعقولات، وبها يميز بين الجميل والقبيح، وبها الصناعات والعلوم.

القوة الغاذية، منها قوة واحدة رئيسة، ومنها قوى هي رواضع لها وخدم. القوة الرئيسة هي القلب، والمرؤوسة مثل المعدة والكبد والطحال. وحتى هذه الأعضاء تخدم القلب ولكنها تخدم ايضاً، فالكبد مثلاً يرأس بالقلب ويرؤس المرارة والكلية واشباههما من الأعضاء، والمثانة تخدم الكلية، والكلية تخدم الكبد، والكبد يخدم القلب، وعلى هذا توجد سائر الأعضاء والقوة الحاسة فيها رئيس وفيها رواضع، والرواضع هي الحواس الخمس المعروفة، كل واحد من هذه الحواس يدرك شيئاً معيناً يخصه، أما الرئيسة منها فهي القلب وهي تشبه الملك، وذلك انها تجمع ما تدركه الحواس الخمس، وكأن هذه الحواس الخمس أصحاب الخيار، كل واحد موكل بجنس من الاخبار، أو أنها موكلة بأخبار ناحية من نواحي المملكة.

والقوة المتخيلة هي واحدة، وتكون في القلب، وأنها تحفظ المحسوسات بعد غيبتها وهي حاكمة على المحسوسات ومحكمة فيها.

أما القوة الناطقة، فلا رواضع ولا خدم لها من نوعها في سائر الأعضاء، بل انما رئاستها على سائر القوى، فهي رئيسة القوة الغاذية والقوة الحاسة والقوة المتخيلة.

الفارابي، إذن يشبه المدينة الفاضلة بالبدن التام الصحيح، الذي تتعاون اعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان وعلى حفظها عليه، فكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة بالفطرة والقوة وفيها عضو واحد رئيس وهو القلب، وأعضاؤه تقرب مراتبها من ذلك وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس، وأعضاء أخر فيها قوى تفعل أفعالها على حسب أغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة، وهذه الرتبة الثانية، واعضاء أخر تفعل الأفعال على حسب غرض هؤلاء الذين في هذه المرتبة الثانية، وهكذا إلى أن تنتهي غلى اعضاء تخدم ولا ترؤس اصلاً. كذلك المدينة فأن اجزاءها مختلفة الفطرة متفاضلة الهيئات. في هذه المدينة رئيس وآخر تقرب رتبته من رتبة الرئيس. وكذلك هناك جماعة يعتبرهم من ذوي المراتب الاول، وهم يرأسون هيئات

ويفعلون بمقتضى ما يريده الرئيس. كذلك يوجد هناك قوم يفعلون الأفعال على حسب أغراض أهل المراتب الاولى أما هؤلاء فمنهم في المرتبة الثانية، وهناك اناس دونهم في المرتبة يفعلون الافعال على حسب أغراض هؤلاء.

وهكذا تترتب اجزاء المدينة الى أن تنتهي إلى آخرين يفعلون افعالهم على حسب أغراضهم، فيكون هؤلاء هم الذين يخدمون ولا يخدمون، وهؤلاء يكونون في أدنى المراتب، ويكونون هم الأسفلين.

ومع هذا فأن الفارابي يفرق بين أفعال الهيئة الاجتماعية وبين وظائف اعضاء البدن. أنه أدرك أن أعضاء البدن تفعل افعالها بصورة طبيعية بينما اجزاء المدينة، وأن كانوا طبيعيين، فأن الهيئات والملكات التي يفعلون بها افعالهم للمدينة ليست طبيعية بل إرادية. أن كل إنسان في المدينة، والذي هو جزء من الهيئة التي تكون المدينة، أنه مفطور بالطبع على شيء وغيره مفطور على شيء آخر يصلح له، ولكنهم كأعضاء في المدينة فأنهم ليسوا بالفطرة التي طبعوا عليها ولكنهم بالملكات الإرادية التي يحصلون عليها، وهي الصناعات وما شكلها، أي أن القوة التي هي أعضاء البدن بالطبع، بينما نظائرها في أجزاء المدينة ملكات وهيئات إرادية.

ويشرح أبو نصر مقارنته بين المدينة وبين الإنسان، فيقول أن المدينة او المنزل قياس كل واحد منها قياس بدن الإنسان، فكما أن البدن مؤتلف من أجزاء مختلفة محدودة العدد بعضها أفضل وبعضها أحسن، وكل واحد يعمل عمله الخاص به، فيجمع من افعالها كلها التعاون على تكميل الغرض ببدن الإنسان، كذلك المدينة أو المنزل يأتلف كل واحد منهما من أجزاء مختلفة، بعضها افضل وبعضها احسن، يجمع من أفعالها التعاون على تكميل الغرض بالمدينة أو المنزل. وكما ان المنزل جزء من مدينة والمنازل في المدينة الغرض منها بصورة عامة التعاون على تكميل غرض المدينة كذلك البدن فأن الرأس والصدر والبطن والظهر واليدين والرجلين قياسها من البدن قياس منازل المدينة من المدينة.

أن فعل كل واحد من الأعضاء غير فعل الآخر، وأجزاء كل واحد من هذه الأعضاء الكبار تتعاون بأفعالها المختلفة على تكميل الغرض بذلك العضو الكبير، ثم يجتمع من الأغراض المختلفة للأعضاء الكبار، إذا تكاملت. أن من افعالها المختلفة، تتعاون على تكميل غرض جملة البدن، كذلك حال أجزاء المنازل من المنازل، وحال المنازل من المدينة، حتى تكون أجزاء المدينة كلها باجتماعها نافعة للمدينة وفي قوام بعضها ببعض مثل ما عليه أعضاء البدن.

ويقارن الفارابي كذلك بين صحة البدن وبين كمال فضيلة المدينة. فكما أن الطبيب يعالج أي عضو من أعضاء البدن إذا اعتل بالقياس إلى شفائه وما يفيد الأعضاء المجاورة أو المرتبطة كذلك بالنسبة إلى نفع صحة البدن بصورة عامة كذلك مدبر المدينة ينبغي أن يدبر كل جزء من أجزاء المدينة، سواء كان هذا الجزء صغيراً مثل إنسان واحد أو كبيراً مثل منزل واحد، ويعالجه بالخير بالقياس إلى جملة المدينة وإلى كل جزء من سائر أجزاء المدينة وذلك بأن يتحرى أن يجعل ما يفيد ذلك الجزء من الخير خيراً ولا يضر به جملة المدينة ولا جزءاً من اجزائها، بل يقدم خيراً تنتفع به المدينة بأسرها وكذلك ينتفع كل واحد من أجزائها بحسب مرتبته في نفعه المدينة. ولاينسى الفارابي أن يشير إلى أن العضو في البدن إذا أصابه العطب والفساد ولم يعد ينفع معه علاج وإذا ترك وشأنه، فأنه يتعدى إلى سائر الأعضاء فيتلفها وربما يقضي على البدن، ولابد أن يقطع ذلك العضو. كذلك في المدينة، فإذا فسد أحد أعضاء المدينة ويخشى أن يتعدى فساده إلى الآخرين فينبغي أن ينفى ويبعد لما فيه صلاح سكان المدينة الآخرين.

ويدرك الفيلسوف المسلم انه ليس من السهل أن يتمتع كل بدن بالصحة الكاملة، كذلك ليس من السهولة ان يقتني كل فرد الفضائل كلها، فنراه يذهب إلى اننا كما في ابداننا لا يمكن ان يقتني فيها أصناف الصحة وأمزجتها او خلقها او عاداتها، او حال المسكن الذي يخصها أو الصناعة التي تتعيش بها وما أشبه ذلك، وهذه حال أكثر

الأبدان، كذلك حال الانفس فلا يمكن أن تقتني وليس على السائس الفاضل والرئيس الاول إلا ان يجعل هذه تبلغ من الفضائل ما تستطيع وبحسب المنافع لأهل تلك المدينة، كما انه ليس على الطبيب الفاضل أن يبلغ بالأبدان إلى اكمل منازل الصحة وأعلى درجاتها وانما عليه أن يبلغ بها من الصحة إلى أكثر ما يمكن في طبعها وجوهرها وبحسب أفعال النفس. أن البدن من أجل النفس والنفس من أجل الكمال الأخير وهو السعادة وفي الفضيلة فالنفس من اجل الحكمة والفضيلة.

ولابد أن نذكر هنا أن فيلسوفنا قد سبق أصحاب المذهب العضوي الذين حاولوا المقارنة بين الكائن العضوي والكائن الاجتماعي، والذين ذهبوا إلى أن كل عضو في المجتمع يقوم بعمله كما يفعل أي عضو في الجسد. ومن هؤلاء الفيلسوف الانجليزي المعاصر هربرت سبنسر.

ولاشك أن من الصعوبة المقارنة بين الفارابي وسبنسر في هذا المجال، إذا ما علمنا أن الفارابي فيلسوف رياضي عقلي وسبنسر حسي تطوري. ولكن مع هذا فأننا نستطيع أن نقرر أن الفارابي قد سبق سبنسر في المقارنة بين الجسم العضوي والجسم الاجتماعي كما أن الفارابي قد تنبه قبل هربرت سبنسر، وميز بين الفعل الإرادي عند الكائن الاجتماعي وبين الفعل الطبيعي في أي عضو من اعضاء الجسم.

الفصل الثاني

النفــس

يعطي الفارابي أهمية النفس، ويعدها السبب الحقيقي للتوازن والاعتدال ونيل السعادة. أنه من دون شك ثنائي النظرة للإنسان. الإنسان عنده نفس وجسم، وكل واحد منهما له ملذات ومؤذيات. الملذات لكل واحد منهما، هي الأشياء الموافقة الملائمة والمؤذيات هي الأشياء المخالفة المنافرة.

النفس يقسمها أيضاً إلى عدة أجزاء أو عدة قوى. القوة التي يبدأ بها، هي القوة الغاذية، لأن اول ما يحدث في الإنسان هي القوة التي يتغذى بها. بعد ذلك، يأتي دور القوة الحساسة، التي يحس بها الملموس، مثل الحرارة والبرودة وسائرها، التي بها يحس الطعوم والروائح والأصوات والألوان والمبصرات مثل الإشعاعات. تحدث بعد ذلك قوة، يحفظ بها ما ارتسم في نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس لها، وهذه هي القوة المتخيلة. القوة المتخيلة هذه، تركب المحسوسات بعضها إلى بعض، وتفصل بعضها عن بعض، تركيبات وتفصيلات مختلفة، بعضها كاذبة وبعضها صادقة، ويقترن بها نزوع نحو ما يتخيله. تحدث بعد ذلك القوة الناطقة، التي بها يعقل الإنسان المعقولات، وبها يميز بين الجميل والقبيح، وبها يحوز الصناعات والعلوم.

يطنب الفارابي في وظائف القوة الغاذية، فيقول أن منها قوة واحدة رئيسة، هي من سائر أعضاء البدن في الفم، ومنها قوى رواضع لها وخدم، متفرقة في سائر الأعضاء، وكل قوة من هذه، فهي عضو ما من سائر اعضاء البدن، ورئيسها كلها هو القلب. المعدة والكبد والطحال هي خادمة، والتي تخدم هذه، هي خادمة ايضاً. الكبد مثلاً مرؤوس ويراس. الكبد يراس بالقلب، وهو يروس المرارة والكلية وأشباههما من الأعضاء. المثانة تخدم الكلية، والكلية تخدم الكبد، والكبد يخدم القلب، وعلى هذا توجد سائر الأعضاء.

أما القوة الحاسة، ففيها رئيس ورواضع ايضاً. الرئيس هنا هو القلب ايضاً، الذي هو كالملك الذي تجتمع عنده اخبار نواحي مملكته من اصحاب اخباره. أما الرواضع فهي الحواس الخمس المشهورة، المتفرقة في العينين والأذنين وفي سائرها. كل

واحد من هذه الحواس الخمس، يدرك الحس الذي يخصه الرئيس ما اجتمع فيه جميع ما تدركه الحواس الخمس بأسرها. أن كل حاسة موكلة بجنس معين من الحس، تجتمع في النهاية عند الرئيس (القلب).

القوة المتخيلة، ليس لها رواضع، بل هي واحدة وهي (القلب). لاشك أن الفارابي يقصد (بالقلب) العقل، لأن العقل هو مصدر كل خيال. يضيف ابو نصر، أن هذه القوة حاكمة على المحسوسات ومتحكمة عليها، وذلك أنها تفرد بعضها عن بعض، وتركب بعضها إلى بعض، تركيبات مختلفة، يتفق في بعضها أن تكون موافقة للمحسوس وفي بعضها تكون مخالفة لها.

اما القوة الناطقة، فهي رئيسة كافة القوى. أن رئاستها تسيطر عل كافة القوى: الغاذية والحاسة والمتخيلة.

اما القوة النزوعية، فهي تشتاق إلى الشيء وتكرهه. أن هذه القوة هي التي تكون لها الإرادة، وذلك لأن الإرادة هي نزوع إلى ما أدرك، أما بالحس وأما بالتخيل وأما بالقوة الناطقة. النزوع قد يكون إلى عمل شيء ما، أما بالبدن بأسره، وأما بعضو واحد منه.

أن الأعمال بالبدن تكون بقوى تخدم القوة النزوعية، وتلك القوى متفرقة في الأعضاء، وتكون بها الأفعال لنزوع الحيوان والإنسان إليها. أما الأعضاء، فهي مثل اليدين والرجلين وسائر الأعضاء، التي يمكن أن تتحرك بالإرادة.

أن علم الشيء يكون بالقوة الناطقة، وقد يكون بالمتخيلة، وقد يكون بالإحساس. النزوع إلى العلم يدرك بالقوة الناطقة، أما الرؤية والتأمل والاستنباط، فيدرك بالقوة الفكرية. أما الشيء الذي نتشوق إلى رؤيته وما اشبه من الأمور، فأننا ندركها بالإحساس.

على الرغم من أن الفارابي يفصل القول في قوى النفس، غير انه بالحقيقة يؤمن بالنفس الواحدة، وأن هذه القوى والأجزاء، تعمل في تكامل تام. أكثر من هذا،

فأن أبا نصر حين يتحدث عن النفس أو عن قواها واجزائها، فهو يربطها ربطاً محكما بأعضاء البدن وفعالياته.

يعد الفارابي، أن القوة الغاذية الرئيسة شبه المادة للقوة الحاسة الرئيسة، والحاسة في الغاذية. ثم أن الحاسة الرئيسة شبه مادة للمتخيلة، والمتخيلة صورة في الحاسة الرئيسة. المتخيلة مادة للناطقة الرئيسة، والناطقة صورة في المتخيلة. اما القوة النزوعية، فأنها تابعة للحاسة الرئيسة والمتخيلة والناطقة، على جهة ماتوجد الحرارة في النارتابعة لما تتجوهر به النار.

يرى الفارابي أن (القلب) هو العضو الرئيس الذي لا يراسه من البدن عضو آخر. الدماغ عند الفارابي عضو رئيس ايضاً، ولكن رئاسته رئاسة ليست رئاسة أولية، بل رئاسة ثانية، وذلك لآنه مرؤوس بالقلب. الدماغ يرأس سائر الأعضاء، لكنه يخدم القلب في نفسه، وتخدمه سائر الأعضاء.

السبب في ذلك، لأن القلب ينبوع الحرارة الغريزية. من القلب تنبث الحرارة في سائر الأعضاء ومنه تسترفد، وذلك بما ينبث فيها عنه من الروح الحيواني الغريزي في العروق. القلب يرفدها بالحرارة التي تبقى الحرارة الغريزية محفوظة على الأعضاء. أما الدماغ فهو يعدل الحرارة، التي شأنها أن تنفذ إليه من القلب حتى يكون ما يصل إلى كل عضو من الحرارة معتدلاً ملائماً له.

الدماغ يخدم القلب ايضاً، بأن يجعل حرارته على الاعتدال الذي يجود به تخيله، وعلى الاعتدال الذي يجود به فكره ورؤيته، وعلى الاعتدال الذي يجود به حفظه وتذكره. أن الدماغ بجزء منه يعدل الحرارة بما يصلح به التخيل، وبجزء آخر منه يعدل ما يصلح به الفكر، وبجزء ثالث يعدل به ما يصلح الحفظ والذكر. السبب في ذلك ، لأن القلب ينبوع الحرارة الغريزية، وأن الحرارة التي فيه قوة مفرطة، يفيض بها على سائر أعضاء الجسم. هنا يأتي دور الدماغ، الذي هو بالطبع بارد رطب، فتصير به حرارة القلب معتدلة التحصيل.

يعالج الفارابي بعد ذلك، الفرق بين القوة الذكرية والقوة الأنثوية في الإنسان، فيقول ان هاتين القوتين متميزتان في شخصيتين، ولكل واحد منهما أعضاء تخصه (وهي الأعضاء التناسلية) أما سائر الأعضاء فيهما فهي مشتركة، كما أنهما يشتركان في قوى النفس، فهما لا يختلفان في القوة الحارة وفي المتخيلة وفي الناطقة.

وهناك فروق بين الذكر والأنثى يذكرها الفارابي، فيقول أن أعضاء الذكر اسخن وأكثر ميلاً للقوة، مثل الغضب والقسوة، فأنها في الأنثى أضعف وفي الذكر أقوى. أما بعض العوارض مثل الرأفة والرحمة، فأنها في الأنثى أقوى.. مع ذلك، فأن الفارابي يضيف قائلاً: انه لا يمتنع أن يكون في ذكورة الإنسان من توجد العوارض فيه شبيهة بما في الإناث، وفي الإناث من توجد فيه هذه شبيهة بما في الذكور.

يعطي الفارابي أهمية مميزة للقوة الناطقة وأن الرسوم أصناف المعقولات، ينبغي أن ترتسم في القوة الناطقة. أن المعقولات التي من شأنها أن ترتسم في القوة الناطقة، منها المعقولات التي هي في جواهرها عقول بالفعل ومعقولات بالفعل: وهي الأشياء البريئة من المادة ومنها المعقولات التي ليست بجواهرها معقولة بالفعل، مثل الحجارة والنبات وبالجملة كل ما هو جسم أو في جسم ذي مادة.

أما العقل الإنساني، الذي يحصل له بالطبع في أول أمره، فأنه هيئة ما في مادة معدة لأن تقبل رسوم المعقولات: فهي بالقوة عقل وعقل هيولاني، وهي ايضاً بالقوة معقولة. وسائر الأشياء التي في المادة، أو هي مادة أو ذوات مادة، فليست هي عقولاً، لا بالفعل ولا بالقوة، ولكنها معقولات بالقوة، ويمكن أن تصير معقولات بالفعل، وليس في جواهرها كفاية في ان تصير من تلقاء نفسها معقولات بالفعل. القوة الناطقة ايضاً، لا يمكن أن تصير من تلقاء نفسها عقلاً بالفعل، بل تحتاج ان تصير عقلاً بالفعل إلى شيء آخر، ينقلها من القوة إلى الفعل، وهي تصير عقلاً بالفعل، إذا حصلت فيها المعقولات.

أن الفاعل الذي ينقلها من القوة إلى الفعل هو ذات ما جوهره بالفعل ومفارق للمادة. أن ذلك العقل يعطي العقل الهيولاني، الذي هو بالقوة عقل، يعطي شيئاً ما

بمنزلة الضوء الذي تعطيه الشمس للبصر، لأن منزلته من العقل الهيولاني منزلة الشمس من البصر. ان البصر نهو قوة وهيئة ما في مادة، وهو قبل أن يبصر فيه أبصر بالقوة، فأن الشمس تعطي البصر ضوء يضاء به.

العقل ايضاً، الذي هو بالفعل يفيد العقل الهيولاني شيئاً ما يرسمه فيه، فأن منزلة ذلك الشيء من العقل الهيولاني، كمنزلة الضوء من البصر. كما أن البصر بالضوء نفسه يبصر االضوء، الذي هو سبب ابصاره، ويبصر الشمس التي هي سبب الضوء به بعينه، ويبصر الأشياء التي هي بالقوة مبصرة، فتصير مبصرة بالفعل كذلك العقل الهيولاني، فأنه بذلك الشيء الذي منزلته منه منزلة الضوء من البصر، يعقل ذلك الشيء نفسه، وبه يعقل العقل الهيولاني.

أن العقل المفارق في العقل الهيولاني، سبيه فعل الشمس في البصر، لذلك سمي العقل الفعال. إذا حصل في القوة الناطقة عن العقل الفعال، ذلك الشيء الذي منزلته منها منزلة الضوء من البصر، حصلت المحسوسات حينئذ عن التي هي محفوظة في القوة المتخيلة معقولات في القوة الناطقة، وتلك هي المعقولات الأولى التي هي مشتركة لجميع الناس، مثل ان الكل أعظم من الجزء، وأن المقادير المتساوية للشيء الواحد متساوية.

المهم أن العقل بحسب رأي الفارابي، هو استعداد في الجسم (المخ) لتقبل صور المعقولات. أما العقل الفعال فهو مفارق للإنسان، هو في فلك القمر، وهذا العقل الفعال هو الذي يضيء عقل الإنسان، ويجعله يدرك المعقولات، وهو ضرب من الأشراق.

أن الفارابي يميز بين ثلاث طبقات من النفوس. النفوس التي لم تدرك المعقولات، مصيرها الهلاك والفناء. النفوس التي تدرك المعقولات ولكنها لا تحيا حياة فاضلة، تكتسب الخلود ولكنها تشعر بالألم والعذاب. النفوس التي أدركت المعقولات وعملت الفضيلة، فأنها تحظى بالخلود.

الفصل الثالث

الفضيلة والرذيلة

يرجع الفارابي، الفضيلة والرذيلة، إلى صحة ومرض النفس. أنه يقول، كما أن للبدن صحة ومرضاً، فأن للنفس هي الأخرى صحة ومرضاً, أن صحة النفس في أن تكون هيئاتها وهيئات أجزائها، هيئات تفعل بها الخيرات والحسنات والأفعال الجميلة. أما مرضها في أن تكون هيئاتها وأجزاؤها تفعل بها الشرور والسيئات والأفعال القبيحة.

يعرج أبو نصر – بعد هذا- فيقول أن الهيئات النفسية التي بها يفعل الإنسان الخيرات والأفعال الجميلة هي الفضائل، أما التي بها يفعل الشرور والأفعال القبيحة، فهي الرذائل والنقائض والخسائس.

أن الذي يعالج الأنفس – برأي الفارابي – هو الإنسان المدني ويسمى أيضا الملك. الفارابي يعني به رئيس المدينة. أن المدني أو الملك يعالج الأنفس، فهو يحتاج إلى أن يعرف النفس بأسرها وأجزائها، وما يعرض لكل واحد من أجزائها من النقائص والرذائل، وما هي الهيئات النفسانية التي يفعل بها الإنسان الخيرات، وكم هي، وكيف الوجه في إزالة الرذائل من أهل المدن.

الفضائل صنفان: خلقية ونطقية. النطقية هي فضائل الجزء الناطق، مثل الحكمة والعقل والكياسة والذكاء وجودة الفهم. أما الخلقية فهي فضائل الجزء النزوعي، مثل العفة والشجاعة والسخاء والعدالة. الرذائل تنقسم أيضا هذه القسمة، وفي حيز كل قسم منها أضداد هذه التي عدت وأغراضها.

الفارابي يؤمن بالممارسة، فيما يخص الفضائل والرذائل الخلقية. أن الفضائل والرذائل الخلقية، تحصل وتتمكن في النفس بتكرير الأفعال مراراً. إذا كانت تلك الأفعال خيرات، كان الذي يحصل هو الفضيلة وأن كانت شروراً، كان الذي يحصل لنا هو الرذيلة. يعطي الفارابي مثلاً على الصناعات مثل الكتابة، فهو يقول أن تكرير الكتابة، تحصل لنا صناعة الكتابة وتتمكن فينا. فإذا كان ما نكرره من أفعال الكتابة رديئاً، تمكنت فينا كتابة رديئة وأن كانت أفعالاً جيدة، تمكنت فينا كتابة جيدة.

يذهب الفارابي بعد هذا، إلى أن الإنسان لا يفطر بالطبع ذا فضيلة ولا رذيلة، كما لا يمكن أن يفطر الإنسان بالطبع حائكاً ولا كاتباً. أن الإنسان يفطر وله استعداد على أفعال أسهل عليه من غيرها. الاستعداد الطبيعي لا يقال له فضيلة ولا رذيلة، ولكن الأفعال إذا تكررت وتمكنت وصارت عادة، يمكن أن يقال عنها أنها فضيلة أو رذيلة، بحسب الفعل الذي يمدح عليه الإنسان أو يذم.

أنه من الصعوبة جداً، أن يوجد إنسان معد بالطبع نحو الفضائل كلها، الخلقية والنطقية، كما أنه من العسير أن يوجد إنسان معد بالطبع للصناعات كلها. في الغالب يكون إنسان معد نحو فضيلة ما أو عدة فضائل محدودة، كما أنه من الممكن أن يكون إنسان معد لصناعة ما أو عدة صنائع محدودة.

أن الإنسان الذي له استعداد نحو الفضيلة، وانضاف إليها الأخلاق المشاكلة لها وتمكنت بالعادة، كان ذلك الإنسان على أتم ما يكون. أما الإنسان الذي له استعداد نحو الرذيلة، وانضافت إليها الأخلاق السلبية المشاكلة لها وتمكنت في العادة، صار ذلك الإنسان على أردأ ما يكون في ذلك الشيء. أن الإنسان الذي يتفوق بالفضيلة، على ما هو موجود من فضائل الناس يرتفع إلى درجة يسمى بالإنسان الإلهي. أن هذا يكون أولى بأن يدبر المدن وهو الملك على الحقيقة، أما الذي تتمكن منه الشرور، فأنه ربما سموه السبعي. أن مثل هذا لا يصلح لرئاسة المدن، بل الأولى أن يخرج من المدن كلها. يستدرك الفارابي، ليقول أن مثل هذين وجودهما قليل في الناس.

مع ذلك، فأن الاستعدادات الطبيعية، نحو فضيلة أو رذيلة، منها ما يمكن أن يغير بالعادة أو يزال زوالاً تاماً، يستطيع الإنسان أن يزيل عادة مضرة نحو عادة حسنة، وذلك بضبط النفس المجادلة والمدافعة. العكس يحدث ايضا بالممارسة والمزاولة.

هناك فرق ايضاً بين الرجل الضابط نفسه وبين الفاضل أن الضابط نفسه، يفعل الأفعال الفاضلة وهو يهوى الشر ويتشوقه، ولكنه يتجنبه ويخالف هواه. أما

الفاضل، فهو يفعل الأفعال الحسنة ويعمل الخيرات، وهو يهواها ويشتاقها ولايتـأذى بهـا بل يستلذها.

أن من الطبيعي، أن الضابط نفسه يختلف في استحقاق الفضل ، عن الرجل الفاضل، صاحب الخلق المحمود، لا تميل نفسه إلى شيء من الرذائل. أن مدبر المدن، من الملوك والرؤساء، إذا كان ذا أخلاق محمودة، وصارت المحامد في نفسه ملكات، فهو أفضل من الرجل الذي يكون ضابطاً نفسه. أن صلاح الرئيس عام لأهل مملكته، ولذا يجب أن تكون الفضائل فيه طباعاً وملكات، لأنه إذا هفا هفوة تعدى فساده إلى كثير غيره، ويكفيه ثواب ما يثبت فيمن يقومهم.

يرى الفارابي أن الشرور تزال عن المدن أما بالفضائل التي تمكّن في نفوس الناس، وأما أن يصيروا ضابطين لأنفسهم. أن أي إنسان لم يمكن أن يزال الشر الكائن فيه، لا بفضيلة تمكن في نفسه ولا يضبط نفسه، يخرج عن المدن.

لا بأس ان اتوقف عند راي الفارابي السلبي، الذي لا يقبله عقل ولا يتصوره إنسان ولا يؤيده عليه قانون. يرتأي الفارابي أن الرئيس الشرير ينبغي أن يخرج من المدن كلها. يكرر القول هنا، أن الرجل (المواطن) الذي لا يستطيع أن يضبط نفسه، يخرج عن المدن.

الحقيقة أن الفارابي فيلسوف كبير. أنه فيلسوف سياسي واجتماعي من طراز خاص، له نظريات أصلية ونظرات ثاقبة، تجعل الآخرين يعجبون به ويقتدون بآرائه. أنه بحكمه على الرؤساء أو الأفراد العاديين، الذين يتأصل فيهم الشر أن يخرجوا من المدن كلها. السؤال الذي يطرح نفسه. اين يذهب هؤلاء ومن يتقبلهم؟ هل يهيمون في الصحراء؟

اليس الأولى بالفارابي إذن، أن ينظر إلى هذا النفر من الناس نظرة عطف وإشفاق، ويوليهم شيئاً من اهتمامه. انه يعرف جيداً، أن الإنسان قابل للتعلم، أليس الأولى إذن إصلاح هؤلاء، بوضعهم في اصلاحيات أو معاهد تربوية خاصة، لإرشادهم والحد من

شرورهم، أليس اقسى ما يمكن أن نوقعه بهم هو أن ينالوا العقاب بقدر ما اقترفوا من شرور بدلاً من الحكم عليهم – جزافاً – بإخراجهم من المدن وطرحهم خارج الأسوار؟

الفارابي نفسه يعترف، بأنه لا يوجد إنسان مفطور على استعداد نحو أفعال ثم لا يمكنه أن يفعل ضد تلك الأفعال. الفارابي يقرر، أن اي إنسان فطر على هيئة أو استعداد، نحو أفعال فضيلة أو رذيلة، فأنه قادر على أن يخالف ويفعل الفعل الكائن عن ضد ذلك الإستعداد. أن ذلك طبعاً يسهل عليه بالعادة والتكرير، حتى يتعود.

الإعتدال عند الفارابي فضيلة، وأن الأفعال التي هي خيرات – برأيه – هي الأفعال المعتدلة المتوسطة. أن الطرفين هما شر، لأن أحدهما أفراط والآخر نقص. يعطي الفارابي بعد ذلك امثلة للفضائل وأطرافها. فضيلة العفة مثلاً، هي متوسطة بين الشره وعدم الإحساس باللذة. السخاء متوسط بين التقتير والتبذير وهكذا، فأن التواضع متوسط بين التكبر وبين التخاسس. الكرم متوسط بين البذخ و بين البخل. الحياء متوسط بين الوقاحة وبين الحصر. التودد متوسط بين التمقت وبين التملق.

المعتدل والمتوسط يقال على نحوين، أحدهما متوسط في نفسه والآخر متوسط بالإضافة والقياس إلى غيره، فأنه يزيد وينقص باختلاف الأشياء التي تضاف إليها. أن المتوسط في الأغذية والأدوية، يكون متوسطاً معتدلاً، من بدن لبدن من وقت لآخر. الأفعال هي الآخرى تكون معتدلة، بحسب المكان والزمان، من إنسان لآخر ومن طائفة لآخرى.

الإنسان نفسه، يستطيع أن يستنبط المتوسط في الأفعال والأخلاق، كما يعرف المتوسط في تناول غذائه أو في طبيعة العمل في الصناعة التي يحترفها. الإنسان قادر على تمييز الإعتدال في الطعام كي يحفظ عليه صحته، كما أنه في العمل يقدر ويتحرى مقدار العمل ومقدار الراحة، كذلك في الأخلاق، هو قادر على إدراك الضار من النافع، وهو يميز بين السلوك الذي يؤدي به إلى الفضيلة عن الطريق الضار الذي يفضي إلى الرذيلة.

يعزز الفارابي رايه، عندما يقرر بصراحة أن الإعتدال بالسيرة الإنسانية، فيما يخص سلوك الإنسان مع نفسه كفرد، او في تعامله مع الآخرين كعضو في مجتمع. ينبغي على الإنسان، أن يضع السعادة نصب عينيه، ثم يقدر افعاله بحسب الطريقة التي توصله إلى السعادة.

أما الفضيلة العقلية، فهناك فضيلة الجزء الناطق النظري، الذي فضيلته العلم والحكمة، وفضيلة الجزء الناطق الفكري، وفضيلته العقل العملي والتعقل والذهن وجودة الرأي وصواب الظن.

العقل النظري يحصل لنا بالطبع، لا ببحث ولابقياس وذلك أننا نعلم أن الكل أعظم من جزئه، وأن المقادير المساوية لمقدار واحد متساوية. أما العقل العملي، فهو قوة يحصل بها الإنسان مقدمات من تجارب الأمور ومن طول مشاهدة الأشياء المحسوسة، يستطيع بها أن يؤثر أو يتجنب كثيراً من الامور. التعقل هو القدرة على جودة الرؤية واستنباط الأشياء، التي هي أجود وأصلح ليحصل بها الإنسان على خير عظيم وغاية شريفة فاضلة.

يؤمن الفارابي بأن الخير في العالم هو الموجود وأن الشر غير موجود أصلاً. يضيف أبو نصر، أن الشر ضربان: أحدهما الشقاء المقابل للسعادة ، والثاني كل شيء شأنه أن يبلغ به الشقاء. كما أن هناك خيرين، أحدهما السعادة، وهي خير على أنها الغاية من غير أن يكون وراءها غاية تطلب بالسعادة. الخير الثاني كل ما نفع بوجه ما في بلوغ السعادة. المهم في كل هذا، أن الفارابي يرى أن الشرين إراديان، كما أن الخيرين المقابلين لهما، إراديان ايضاً.

يرد الفارابي على الذين يرون أن القوة الشهوانية والغضبية هما شر، كما انه لا يتفق مع الذين يرون أن الجزء النزوعي من النفس هو شر، أو الذين يرون أن الانفعالات النفسية، مثل الغيرة والقسوة والبخل و أشباه ذلك. الفارابي يرشد إلى

الطريق السوي، حين يقول أن طريقة الاستعمال، إذا أدت إلى بما ينال بـه الـسعادة فهـي خيرات، وإذا استعملت ما يؤدي إلى الشقاء فهي شرور.

يعالج الفارابي مشكلة الموت، فيقول أن الموت شـيء طبيعـي. بعـد ذلـك، ينـصح الرجـل الفاضـل الا يجـزع مـن المـوت، بـأن يعتقـد أنـه سينالـه بـالموت شـر عظـيم، او سيفوته خير عظيم. عليه أن يؤمن أنه لا ينال بالموت شراً أصلاً، وأن الخير الـذي كـان قد حصل له وقت موته هو معه، ولا يفارقه بالموت.

مع ذلك، فأن على الرجل الفاضـل ألا يـستعجل المـوت، بـل ينبغـي أن يحتـال في البقـاء مـا أمكنـه، ليـزداد مـن فعـل مـا يـسعد بـه، وأن لا بفقـد أهـل المدينـة نفعـه لهـم بفضيلته. ليس للرجل الفاضل أن يجزع إذا حـل بـه المـوت كرهـاً، لأن الـذي يجـزع مـن الموت أهل المدن الجاهلية والفساق. أما أهل المدن الجاهلية، فهم يجزعـون لمـا يفـوتهم لمـا يخلفون من لذات وأموال أما الفساق فيصيبهم الندم لما قدموه من حياتهم.

يخص الفـارابي بلفتـة مـن لفتاتـه، يخـص المجاهـد الفاضـل، حـين ينـصحه ألا يتهور ويخاطر بنفسه، ولكن مع ذلك، عليه أن لا يفزع ولا يجزع، إذا ما حـل المـوت بـه، بعد هذا، ينبغي أن يخص المجاهد الذي قتل في الحرب، أن يمدح، لأنـه ضحى بنفسه، من اجل أهل المدينة.

وهكذا فأن الإنسان العاقـل، الـذي يعقـل إذا مـا اجتمـع لـه شـيئان، أحـدهما أن تكون له جـودة تمييـز لمـا ينبغـي أن يـؤثر او يجتنـب مـن الأفعـال. الثـاني أن يـستعمل الأفضل من كل ما وقف عليه بجودة تمييزه. أما الإنـسان المتعقـل، فهـو الـذي يكـون لـه جودة رؤية في استنباط ما ينبغي أن يفعل من أفعال الفضيلة.

أن العمل يكون فضيلة وصواباً، إذا عـرف الإنـسان الفـضائل، الـتي هـي فـضائل بالحقيقة، وعوّد نفسه أفعال الفـضائل، الـتي هـي بالحقيقـة فـضائل، حتـى صـارت لـه هيئة من الهيئات وعرف مراتب الموجودات واجتنب ما ينبغي أن يجتنب.

أن هذه الحالة، لا تحصل ولا تكمل، إلا بعد الحنكة وكمال المعرفة بالبرهان واستكمال العلوم الطبيعية، وتبعها وما بعدها على ترتيب ونظام حتى يصير أخيراً إلى العلم بالسعادة، التي هي بالحقيقة سعادة، وهي التي تطلب لذاتها، ولا تطلب في وقت من الأوقات لغيرها.

أن المبادئ الطبيعية التي في الإنسان وفي العالم غير كافية في أن يصير الإنسان بها إلى الكمال،بل أن الإنسان محتاج إلى مبادئ عقلية، يسعى الإنسان بها نحو ذلك الكمال. يكون الإنسان حينها قد قارب البلوغ إلى المنزلة والدرجة من العلم النظري، التي تنال بها السعادة، ويبلغ به النظر من الجهتين جميعاً إلى أن تنتهي إلى موجود لا يمكن أن يكون له مبدأ أصلاً بل يكون هو الموجود الأول والمبدأ الأول لجميع الموجودات.

يعتقد الفارابي، أنه لا يكاد يوجد إنسان مفطوراً من اول أمره على الكمال، حتى يوجد فيه تفاوت أصلاً، وأن تكون سائر افعاله وسيرته واخلاقه تجري على العدل والإنصاف، من غير ميل إلى أحد الأطراف أو غلبة من بعض الأضداد على بعض. الفارابي يعتقد إذن أن الفطرة مصنوعة من متضادات، فأن كل فطرة إنسانية، إذا قلت المنافرة في عناصرها، كانت إلى الإعتدال أقرب، وكلما كثرت المنافرة كانت من الإعتدال بتنافر الطباع واعتدالها.

أن الاجتماع على الفضيلة لا يقع فيه تباين ولا تفاسد، لأن الغرض في الفضيلة واحد هو الخير، الذي يراد لنفسه لا لشيء آخر غيره. فإذا كانت الشهوة من الإثنين والقصد منهما أنما هو لذلك الغرض الذي هو الخير بعينه، فطريقهما إليه واحد ومحبتهما للشيء بعينه واحدة. أن التفاسد يقع باختلاف الشهوات وتباين الأغراض، فيكون حينئذ هو التصرف الذي لا اجتماع معه، لأن كل واحد غرضه غير غرض الآخر وطريقته غير طريقته.

الفارابي يرى أن الفلسفة مهمة في أن يتعلمها الإنسان، فيحصل على العلوم النظرية. مع ذلك فأن الفارابي يعتقد أن على الإنسان أن تكون أفعاله جميلة، إضافة

إلى تعلمه للعلوم النظرية. الفارابي يفضل الإنسان الذي تكون أفعاله جميلة حتى لو لم يتعلم العلوم النظرية، على الذي تعلم العلوم النظرية وأفعاله غير جميلة. الفضيلة الكاملة إذن تكون في تعلم العلوم النظرية، تصحبها أفعال جميلة.

الفصل الرابع

السعـــادة

يعد الفارابي (259 – 339هـ) مؤسس الفلسفة الإسلامية، لأنه كتب في جميع فروع الفلسفة، إضافة إلى أنه قد اشتهر في كتاباته السياسية، ولاسيما كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، الذي اشتهر به، وكان يعرف أنه صاحب كتاب المدينة الفاضلة. كما أنه يعد المعلم الثاني في تاريخ الفلسفة، بعد ارسطو 0 الفيلسوف اليوناني – الذي عرف بلقب المعلم الأول.

ينسب الفارابي إلى مدينة فاراب في تركستان، ولا يعرف شيئاً عن طفولته وشبابه، لكن المعروف عنه أنه غادر بلده وتنقل من مدينة إلى اخرى حتى وصل إلى بغداد فأتقن اللغة العربية، ثم درس الفلسفة على أبي بشر متي بن يونس وعلى الطبيب المنطقي يوحنا بن حيلان. لقد أفاد الفارابي من مكوثه في بغداد، لأنه درس فيها أمهات الكتب اليونانية، ولاسيما كتب أفلاطون وأرسطو، وصار رئيساً لمناقطة بغداد، واجتمع حوله كثير من طلاب الفلسفة، الذين برزوا في حقل الحكمة فيما بعد، مثل يحيى بن عدي وابي سليمان المنطقي، انتقل الفارابي فيما بعد إلى دمشق ثم سافر إلى مصر وعاد إلى الشام، واتصل بسيف الدولة الحمداني، وعاش تحت كنفه حتى مات.

الذي أود توضيحه في هذا المقام، أن الفارابي حتى لو ولد في مدينة بعيدة عن العاصمة بغداد، عاصمة الخلافة الإسلامية، إلا أن لسانه كان عربياً. ليس المهم العرق في هذا الشأن، لأن المهم هنا، أن ثقافته عربية إسلامية. لقد كتب كتبه ورسائله كلها باللغة العربية، إذا كان قد قضى طفولته في فاراب فأن صباه وشبابه وكهولته وشيخوخته، قضاها كلها في حواضر عربية متميزة، مثل بغداد ودمشق والقاهرة وحلب. انه درس وناظر ودرس وكتب بلغة عربية سليمة. اكثر من هذا، فأنه إذا ولد في مدينة فاراب، فلا يعني هذا انه غير عربي النسب. ان اباه كان قائد جيش، وقد يكون عربياً وصارت مهمته العسكرية في تلك الديار الإسلامية، والتي سكنها واستوطن فيها كثير من العرب الذين استقروا هناك.

المهم في الامر انه قضى جل حياته في بغداد ودمشق وحلب. اساتذته كانوا من العلماء العرب المعروفين، تتلمذ عليهم واتقن اللغة العربية على أيديهم مثل أبي بكر السراج الذي قرا عليه النحو، مما جعله يتمكن من اللغة العربية ويستعمل في كتاباته الفاظاً ومصطلحات عربية في كتاباته الفلسفية والمنطقية وباقي صنوف الحكمة، تصعب جداً على من لا يتقن العربية إتقاناً تاماً، حتى انه بز جميع الفلاسفة في عصره، إذ شرح الفلسفة وكشف سرها وقرّب تناولها، وقد توصل إلى صنوف الإبداع في الفلسفة والمنطق.

ومن الجدير بالذكر أن أقول أن الفارابي الفيلسوف كان يرى أنه الله هو المالك لأعلى درجات الكمال المتلئ بالحقيقة الازلية، المكتفي بذاته من دون تغيير ولا تبديل. الله هو العلي الأولى لكل الأشياء، وهو واحد فرد لا يتعدد. الفارابي كان يؤمن بالبعث وخلود النفوس، ويقول بالنعيم الأبدي والعذاب الأبدي وكان مؤمناً بالدين الإسلامي، كما ورد في كتاباته، ولاسيما في كتابه (المدينة الفاضلة). الفارابي كان ينصح الذي يريد أن ينخرط في درب الحكمة (الفلسفة) أن يكون صحيح المزاج، متأدباً بآداب الأخيار، قد تعلم القرآن وعلم الشرع، وأن يكون عفيفاً صدوقاً، معرضاً عن الفسق والفجور والغدر والخيانة والمكر والحيلة، كما أن عليه أن يكون مقبلاً على أداء الوظائف الشرعية، غير مخل بركن من أركان الشريعة، بل غير مخل بآداب من آداب السنة.

أن الفارابي تناول المشكلة الدينية في كتبه وتعليقاته وذهب إلى أن الدين والملة يتفقان في جوهرهما، لأن الدين يستدعي صلة الإنسان بالله، غير أن الملة تنسب إلى النبي مؤسس المجتمع الديني. أن الفارابي يعترف ويؤكد بحقيقة المعرفة النبوية وقيمتها، وهذا واضح في كتابيه (المدينة الفاضلة) وكتاب (الملة)، يذكر الفارابي في كتاب (الملة) أن الانبياء الكبار أصحاب الشرائع أولئك الذين لهم عقل منفعل موحد

كالعقل الذي يتصف به الفيلسوف، وفي هذا العقل الفعال الموحد في عالم المدركات يكون الانبياء مؤسسي الاديان السماوية. أن الفارابي يؤكد في كتابه (عيون المسائل) أن الموجودات على ضربين: واجب الوجود وممكن الوجود، ثم أن الواجب الوجود على ضربين: واجب الوجود بذاته وهو الذي لا يحتاج في وجوده إلى علة خارجية وهو الله وحده، الذي يستمد وجوده من ذاته، ثم واجب الوجود بغيره وهو الممكن، إذا توفرت له أسباب الوجود من خارج ذاته. أن الله - في رأي الفارابي — في غاية البساطة والكمال والجمال والتجريد، لأنه مخلص من المادة، ولأنه عقل مطلق، أنه سعيد وسعادته في ذاته، وهي أبدية وكاملة.

الإنسان برأي الفارابي يصبو إلى الكمال، وأن الكمال لا يتحقق إلا بالتعاون الاجتماعي. الإنسان إذن بحاجة إلى المجتمع والتعاون. لأن هناك أشياء ومتطلبات لايستطيع ان يحققها وحده. لأن كل واحد من الجماعة يقوم بعمل معين. أن الاجتماعات برأي الفارابي على نوعين: الأول اجتماعات كاملة وهي ثلاثة عظمى ووسطى وصغرى. ان العظمى تتكون من المجتمع الإنساني، وأما الوسطى فتتكون من مجتمع الأمة، وأما الصغرى فمن مجتمع المدينة، الثاني الاجتماعات غير الكاملة وهي اربعة: مجتمع أهل القرية ومجتمع أهل المحلة ومجتمع أهل السكة ثم أصغر مجتمع هو مجتمع اهل المنزل. أن الخير الأفضل ينال في المدينة، أما المجتمعات الأدنى فتبقى ناقصة وخادمة لمجتمع المدينة، وتصبو إليه.

أن الخير عند الفارابي ينال بالاختيار والإرادة، كما أن الشر ايضا ينال بالاختيار والإرادة. أن أهل المدينة إذا اجتمعوا من اجل تحقيق الخير والسعادة كانت المدينة فاضلة، وإذا اجتمع أهلها على الشر كانت مدينة ضالة. أن الفارابي يرى أن على كل إنسان أن ينظر إلى نفسه ويتأمل احوال غيره من الناس، فأنه سيجد أن هناك من هو اعلى مرتبة، وهناك من هو في مستواه وهناك من هو أدنى مرتبة. أن على

الإنسان في هذه الحالات الثلاث، أن يسعى لينال مرتبة الأرفعين، وعليه أن يحاول أن يفضل أكفائه الذين هم في مرتبته نفسها، أو الأدنى منه مرتبة، فعليه ألا ينحط إلى مرتبتهم.

ان على الإنسان بعامة، ان يتأمل أحوال الناس وان يجتهد في التمسك بمحاسنها والابتعاد عن مساوئها. ان المرء معرض في حياته بين ما هو محمود وما هو مذموم. قد يظن بعض الناس ان المذموم خير لهم فيميلون معه. الفارابي يرى أن على الإنسان أن يروض نفسه على كل ما هو محمود، وان يتجنب كل فعل ذميم. ان على المرء – كما يرى الفارابي – أن يكون ملازما لرئيسه، مثابراً على ما اوكل إليه من امور، وأن يكون نصب عين رئيسه دائماً، والا يخشى الملام، وان يمدحه ويقرظ افعاله، ويطلب لأفعاله الوجوه الحسنة، فيذكرها في حضرته او غيبته، عليه أن يكتم أسرار رئيسه، وأن يكون حذراً في ما يوجهه إليه تجنباً للزلل، وأن يعمل على ما يرضي رئيسه، وأن يتلطف في طلب النفع من رئيسه، فلا يلح في السؤال ولايظهر الطمع والشره، وعليه أن يكون نزيها، والا يتمسك بمال أو ملك، على المرء في الوقت نفسه ان يكون مخلصاً لأصدقائه المخلصين لأنهم عون له في هذه الحياة، أما أصدقاؤه في الظاهر، فعليه أن يجاملهم ويحسن إليهم، والايطلعهم على شيء من أسراره. أما الأعداء فمنهم من يكون ذا حقد وضغينة، وعليه أن يحترس منهم، أما الصديق الحسود، عليه أن يغيظه وأن يحترس من دسيسته،أما من هو ليس بعدو ولا صديق، فعلى المرء أن يسمع لقوله والا يغتر بكل ما يسمعه، وأن يتأمل اقاويله ويتعرف على أغراضه، اما واجب المرء تجاه من هم دونه، فأن من دون كل مرء صنفين: الضعفاء والمتعلمين. أما الضعفاء فصنفان ايضا وهم المحتاجون وذوو الفاقة. ان هؤلاء جميعا، على المرء أن يعاملهم من غير منع تام ولا بذل تام. هناك صنف من الضعفاء، هم الضعفاء الصادقون في ما يبدونه من حاجة، فينبغي أن يتعهدهم بالمواساة، من غير أن يخل بأحوال نفسه اما المتعلمون

وذوو الحاجة إلى العلم، فمنهم من يبتغون العلم ليستعملوه في الشرور، فينبغي توجيههم لما فيه الخير، وأن لا نعلمهم ما يريدون استعماله في ما لا يجب. منهم البلداء الذين لا يرجى ذكاؤهم، ينبغي صرفهم إلى ما هو أعود عليهم، ومنهم المتعلمون ذوو الأخلاق والطبائع الجيدة، فيجب على المرء الا يدخر شيئاً عنهم مما لديه من علوم، أما واجب المرء تجاه نفسه، فأن على المرء أن ينظر في شؤونه ويستعمل في كل حال ما يعود عليه بصلاحها. ان على المرء أن يسعى للمال والملك، ولكن من غير أن يخل بدينه ومروءته وعرضه. عليه أن يتأمل وجوه الدخل والخرج، فإذا كسب المال، من وجهه الشريف فعليه أن يسخو به في الاوجه التي تتطلب البذل، من غير أن يقع في الحاجة، كما أن على المرء أن يسعى إلى كسب الجاه، وأن يفضل كسب الجاه على كسب المال، لأنه بالجاه يكسب المال، بينما لا يكسب الجاه بالمال في الغالب، على المرء أن يحصن أسراره، كما عليه أن يشاور غيره في آرائه، من ذوي النبل وذوي العقول والألباب والنفوس الكبيرة، أن على المرء أن ينفع بالأدب، لأنه به يعرف العورات ويقيل من العثرات.

السعادة إذن عند الفارابي، هي أن يحرر الإنسان نفسه من المادة، حتى تصير النفس عقلاً كاملاً، اي أن تصير نفس الإنسان من الكمال إلى درجة أن تتخلص من كل ما هو مادي. أن المادة براي الفارابي سبب شرور النفس، أن السعادة برايه تأتي عن طريق الحكمة والتأمل، والتي تؤدي بالإنسان إلى الابتعاد عن الأعمال السيئة وعن الشهوات وشرورها، السعادة إذن تأتي بالتأمل والابتعاد عن الشرور معاً. أن السعادة يسعى إليها كل إنسان، وأن السعادة أسمى الخيرات، وأن الإنسان الذي يسعى إلى الخير تكمل سعادته. أن على الإنسان إذن أن يمارس عمل الخير بأفعاله الحميدة. أن كل إنسان قادر على عمل الخير وتجنب الشر من اجل أن يحصل على السعادة. أن المداومة على

عمل الخير وممارسة الأفعال المحمودة، ما تلبث أن تصير ملكة عند الإنسان في اكتساب الأخلاق الحميدة والسعادة في الحياة.

أن السعادة مطلب كل إنسان، ولكن الفارابي يؤكد أن السعادة تنال بممارسة الفضائل، الفضائل عند الفارابي نوعان، الفضائل الفكرية التي بواسطتها ننال الحكمة وصنوف المعرفة، والفضائل الخلقية العملية التي نمارسها داخل نطاق المجتمع، لاينسى الفارابي أن يضيف إلى أن السعادة الكاملة لا تتحقق إلا للنفوس الطاهرة المقدسة، والتي لا تشغلها الحواس الجسدية، بل أنها يستغرقها الحس الباطن لتنظر إلى الأعلى، مترفعة عن الشهوات الحسية.

أن على الإنسان إذن أن يسير سيراً حسناً وفق توجيهات علم الأخلاق الذي هو مهم في توجيه الإنسان نحو فعل الخير كفائدة المنطق في وضع قوانين المعرفة أن علم الأخلاق مهم للإنسان في شؤون أعماله وعلاقاته في المجتمع. أن الممارسة مهمة في رأي الفارابي، لأن التعود على الفعل الجميل يكون في أصحاب الأخلاق الجميلة، كما أن التعود على ممارسة الشرور يكسب الفاعل الأخلاق القبيحة.

أهتم الفارابي بفضائل سكان المدن وكتب في ذلك كتابه المشهور (آراء أهل المدينة الفاضلة). أنه أهتم اهتماماً كبيراً برئيس المدينة، لأن الحاكم يستطيع أن يحقق السعادة التامة للأمة. الفارابي يرى أن حاكم المدينة يجب أن يكون فيلسوفاً. أن الفارابي بهذا يجمع بين رأي أفلاطون في أن يكون حاكم المدينة فيلسوفاً، ومن مناظرات المتكلمين المسلمين واهتمامهم بالإمامة، والذين كتبوا شروطاً للإمام ووجوب اختيار الإمام وطاعة الإمام. أن الإمام هو راس المدينة، لأنه أكمل اجزاء المدينة فهو يرؤس ولا يراس، وهناك من هم دونه في المرتبة يراسون من هم اقل منهم مرتبة وهكذا يضع الفارابي شروطاً أو صفات يجب أن يتمتع بها رئيس المدينة مثل أن يكون سليم البنية قوي الأعضاء جيد الفهم والتصور، قوي الذاكرة، كبير

الفطنة سريع الذاكرة حسن العبارة محبا للعلم والإستفادة، متحليا بالصدق والأمانة نصيراً للعدالة، عظيم الإرادة ماضي العزيمة قانعاً متجنباً للذات الجسمية.

أن السعادة في المدينة تكون بالاجتماع والتعاون بين أفرادها، لتكون مدينة فاضلة، أما الأمة الفاضلة فهي التي تتعاون مدنها على تحقيق السعادة، لتكون أمة فاضلة، يذهب الفارابي أكثر من هذا وذاك فيهتم بشأن سكان الأرض جميعاً لتكون المعمورة الفاضلة، ويكون ذلك عندما تتعاون بين أبناء المدينة او بين مدن الأمة، او بين جميع الأمم، كي يعم الخير وتتحقق السعادة، أن الاجتماع بنظر الفارابي إذن مهم لإسعاد الناس، وذلك لأن الإنسان مدني بالطبع، وأن الفرد الواحد مهما كانت قابليته عالية، لا يستطيع وحده أن يحقق السعادة.

لعل أهم ضربة عبقرية في هذا الشأن، أن الفارابي طلب السعادة لجميع سكان المعمورة، اي لجميع البشر، إذا كان ارسطو وافلاطون قبله، قد طمح كل منهما لتحقيق السعادة لسكان مدينة واحدة، فأن الفارابي فكر في أن ينعم أهل الأرض كافة، بعمل الخير وتحقيق السعادة.

الاجتماع برأي الفارابي، إذن وسيلة لبلوغ الكمال، وأن العيش داخل نطاق المجتمع يحقق السعادة. أن الفارابي يشبه جسم الإنسان بالمدينة، فهو يقول أن المدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم الحياة وحفظها عليه. كما ان البدن واعضاؤه مختلفة متفاضلة الفتوة والقوى، وفيها عضو واحد رئيس وهو القلب وأعضاء تقرب مراتبها من ذلك الرئيس وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس، وأعضاء اخرى فيها قوى تفعل افعالها على حسب أغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة، أن هذه هي الرتبة الثانية وأعضاء أخرى تفعل الأفعال على حسب غرض هؤلاء الذين في المرتبة الثانية، وهكذا إلى أن تنتهي إلى أعضاء تخدم

ولا تـرؤس، ان هـذا يعـني أن الفـارابي يؤكـد ويكـرر علـى وجـوب التعـاون بـين أفـراد المجتمع، لأن السعادة لا تنال إلا بالتعاون.

السعادة إذن عند الفارابي هدف اعلى يتحقق بالحكمة والسيرة الفاضلة، وذلك لأن السعادة هـي الغايـة العليـا الـتي ينـشدها الإنـسان، سواء أكـان ذلك علـى مستوى الأفراد أم الجماعـات. ان التأمـل في شؤون الحيـاة أو التعقل هـو االـذي يوجب علـى أن الإنسان ما يفعله حتـى تحصـل السعادة، وأن الحكمة هي التي تعطي الغاية القصوى.

أن الفارابي في حقيقته، ومن كتاباته السياسية والمدنيـة، كان يحلم بتحقيق مدينة فاضلة، يعيش النـاس في كنفها وقـد حققوا الخير ونـالوا الـسعادة. أن الفـارابي بهـذا الـشأن عـبر عـن وجهـة نظـره في هـذه القـضايا، بعد ان تنقـل في كـثير مـن المـدن ولاحظ طبيعة الحكم وسيرة النـاس. أنهـا إذن مـأخوذة مـن تجاربـه الحياتيـة وكثـرة تنقلاتـه بين المدن وتجاربه الذاتيـة، إضـافة إلى وفـرة قراءاتـه في كتـب الفلـسفة وعلـم الكلام، وحضوره لمناظرات الفقهاء والمتكلمين. أنـه درس الطبيعـة الإنـسانية، ومـسيرة المجتمعات، ليحقق لها السعادة من خلال ما كتبه من كتب السياسة.

لاشك أن الفـارابي بتـصوره لبنـاء مجتمـع سعيد هـو تـصور فيلـسوف، ولـذلك أوغلت مدينتـه الفاضـلة في المثاليـة حتـى يمكـن القـول أن مـن الـصعب أن لم يكـن مـن المستحيل تحقيقها ولاسيما أنـه أراد من رئيسها أن يطل على العالم المفارق وعلى العقل الفعال حتى يمكن أن يكون نـبيأ وفيلسوفأ في الوقت نفـسه. الفـارابي لم يـدرس أحـوال السكان دراسة عمليـة ميدانيـة، ومـا يحتـاج إليـه أعـضاء المجتمـع مـن شـرائع وقـوانين إدارية وعملية وتربوية واقتصادية، فأنه أعطى الأهمية كلها لحـاكم المدينـة الـتي أراد منه ان يكون ملكاً فيلسوفاً.

أن الفـارابي مثلاً يبدأ كتابه كتـاب (الملـة) بـالفقرة التاليـة الـتي تعـبر تمام التعبير عن رأيه بسعادة المجتمع، والطريق الموصل إليه، يقول الفارابي:

(الملة هي آراء وأفعال مقدرة مقيدة بشرائط يرسمها للجميع رئيسها الأول، يلتمس أن ينال لها غرضاً له فيهم أو بهم محدودا. والجمع ربما كان عشيرة، وربما كان مدينة أو صقعاً، وربما كان امة عظيمة، وربما كانت امماً كثيرة. والرئيس الأول ان كان فاضلاً وكان رئيساً فاضلاً في الحقيقة فأنه انما يلتمس بما يرسم من ذلك أن ينال هو وكل من تحت رئاسته السعادة القصوى، التي هي بالحقيقة سعادة، وتكون تلك الملة ملة فاضلة).

السعادة عند الفارابي إذن يتشوقها كل إنسان، لأنها أكمل الخيرات التي يسعى الإنسان كي ينالها، وإذا ما حصل الإنسان على السعادة لم يحتج بعدها إلى غاية اخرى، مع هذا فبعض الناس يرى أن السعادة بالثروة، وغيرهم يرون السعادة في غير ذلك، كالصحة أو المنزلة الاجتماعية، وأنها غاية الكمال الإنساني، وأنها تحصل بجودة التمييز. أننا نحصل على السعادة – برأي الفارابي – بالفلسفة، وهذه تحصل لنا بجودة التمييز. ولما كانت الفلسفة انما تحصل بجودة التمييز، وجودة التمييز تحصل بقوة الذهن على إدراك الصواب، فأن قوة الذهن إذن كانت حاصلة لنا قبل هذه، وقوة االذهن تحصل متى كانت لنا قوة بها نقف على الحق، أنه حق يقين فنعتقده، ومنها نقف على ما هو باطل بيقين فنتجنبه.

يهتم أبو نصر بسعادة المدينة كاهتمامه بسعادة الفرد، أن السعادة العظمى التي تطلب لذاتها عند الفارابي هي أن تتحرر النفس من قيود المادة وانحلالها فتصير عقلاً كاملاً، اي ان تصير نفس الإنسان من الكمال والتخلي من أدران المادة وغواشيها بحيث لا يحتاج في قوامها إلى مادة، وأن تبقى على تلك الحال دائماً ابدا أن النفس تبلغ ذلك بأفعال إرادية بعضها افعال فكرية ترمي إلى معرفة علوم الفلاسفة القدماء، وبعضها أفعال بدنية.

السعادة إذن تأتي عن طريق العقل والحكمة أولاً، ثم الابتعاد عن الأعمال القبيحة والشهوات الحسية ثانيا. أن السعادة هي الغاية القصوى التي يشتاقها الإنسان

وإذا كان كل ما يسعى إليسه الإنسان هو في نظر الفارابي خير وغاية في الكمال، فأن السعادة هي أسمى الخيرات جميعها، فبقدر سعي الإنسان إلى بلوغ الخير لذاته تكتمل سعادته. أن السعادة تنال بممارسة الأعمال المحمودة عن إرادة وفهم متصلين، أن أي إنسان يستطيع عمل الخير ويسير فيه، ينال السعادة إذا أراد ذلك، وما عليه إلا محاولة تنمية خصال الخير الموجودة في نفسه بالقوة، لتصير ملكة راسخة، تتجه دائماً إلى عمل الخير. أن الممارسة عنصر مهم عند الفارابي في الحصول على اكتساب الأخلاق والسعادة. أن السعادة برأي الفارابي هي الخير المطلوب لذاته، ولا يتسنى بلوغها إلا بالفضائل، فأن الفضائل الفكرية أسمى من الفضائل الخلقية والعملية، لأن الفضائل الفكرية شرط لها، بل أن القوى الناطقة العملية لم تجعل إلا لتخدم النظرية. ولم تجعل النظرية إلا لتخدم شيئاً آخر، بل ليتوصل بها إلى السعادة.

يرى الفارابي أن للنفس صحة ومرضاً، فكما أن البدن يصح ويمرض، النفس ايضا من علائم صحتها أنها تفعل الخيرات والحسنات والأفعال الجميلة، ومرضها عندما تفعل الشرور والسيئات والأفعال القبيحة، أن الهيئات النفسانية التي بها يفعل الإنسان الخيرات والأفعال الجميلة هي الفضائل، أما الأفعال التي بها تفعل الشرور والأفعال القبيحة فهي الرذائل.

نلاحظ كيف أن الفارابي يعطي للأخلاق أهمية كبيرة في سعادة الأفراد او المدن. أنه يرى أن صحة البدن هي في اعتدال الفرد، ومرضه في الانحراف عن الاعتدال كما أن الفارابي يرى أن صحة المدينة واستقامتها هي اعتدال أخلاق اهلها، ومرضها بالتفاوت الذي يوجد في أخلاقهم. يرى الفارابي أنه متى انحرف البدن عن الإعتدال من مزاجه، فأن الذي يرده إلى الإعتدال ويحفظه هو الطبيب، كما ان المدينة إذا انحرفت في أخلاق أهلها عن الإعتدال، فالذي يردها إلى الإستقامة ويحفظها عليها هو المدني. المدني والطبيب يشتركان في فعليهما ويختلفان في موضوع صناعتيهما،

فموضوع الأول هو الأنفس، وموضوع الثاني هو الأبدان. وكما أن النفس أشرف من البدن، فالمدني أشرف من الطبيب.

يقصد الفارابي، أن الطبيب يعالج الأبدان لتصح وتقوى، وأن المدني هو الملك الذي يعمل بصناعته الملكية ليجنب النفس الإنسانية من الشرور، ويوجهها نحو الخيرات، فتتم الصناعة الملكية وتعمر المدن. أن الطبيب الذي يعالج الأبدان يحتاج أن يعرف أسرار البدن وأجزاءه ليتسنى له إزالة المرض، وكذلك الملك الذي يعالج الأنفس يحتاج أن يعرف النفس وما يعرض لها من النقائض والرذائل، والطريقة التي يمكنه بها إزالة الرذائل عن أهل المدن.

يطلب الفارابي من مدبر المدن أن يكون ذا أخلاق محمودة، وأن تصير المحامد في نفسه ملكات، لأنه في هذه الحالة خير من الضابط لنفسه، أن صلاح رئيس المدينة مهم جداً عند الفارابي، وذلك لأن صلاحه عام، يهم أهل مملكته جميعاً، فإذا هفا هفوة فأن فساده يتعدى إلى غيره، فيجب إذن أن تكون الفضائل فيه طباعاً وملكات، ويكفيه ثواب ما يثبت فيمن يصلحهم ويقومهم.

أن الشرور تزال من المدن بحسب رأي الفارابي، أما بالفضائل التي تكمن في نفوس الناس، وأما بان يصيروا ضابطين لأنفسهم. يرى الفارابي بعد ذلك، أن أي إنسان لا يمكن أن يزال عنه الشر ويستبد له بفضيلة ولا يستطيع أن يضبط نفسه، فأن مثل هذا الإنسان يجب أن يخرج من المدينة.

الحقيقة أننا نلاحظ بوضوح، أن في راي الفارابي الأخير شيئاً من الغلو والمبالغة، أن المرء الذي لا يقبله بلده إذا كان شريراً، فأي بلد يا ترى يتقبل مثل هذا الإنسان، ولاسيما أن الفارابي يذكر في فقرة لاحقة، أنه من العسير، بل من غير الممكن أن يوجد إنسان مفطور على استعداد نحو افعال، ثم لا يمكنه أن بفعل أضداد تلك الأفعال، أن الإنسان إذا فطر على هيأة وله استعداد نحو فضيلة أو رذيلة فأنه قادر أن

يخالف ويفعل ضد ذلك الاستعداد، وبالممارسة والرياضة والتمرين ليتيسر بالعادة ويسهل، حتى يتعود على فعل الضد.

وهكذا يعطي ابو نصر مثلاً في فائدة التربية والتوجيه، فكان الأحرى به إذن ان ينصح مدبر المدن بأن يرد الأشرار من شرورهم، فيسلكوا طريق الخير والفضيلة بالتربية والسعادة والممارسة، مهما كانت صعبة أول الأمر، حتى يلينوا ويكونوا مواطنين أسوياء.

أن الكمال عند الفارابي، أن يفعل الإنسان الفضائل كلها، وليس أن يكون الإنسان ذا فضيلة فقط من غير أن يفعل أفعالها، وأن الكمال هو في أن يفعل لا في أن يقتني الملكات االتي بها تكون الأفعال، فكما أن الكاتب أن يفعل أفعال الكتابة أن لا يقتني الكتابة، وكما أن الطبيب أن يفعل افعال الطب لا أن يقتني الطب فقط، والحال هذا يصدق على كل صناعة.

أننا بهذا الكمال يحصل لنا الكمال الأخير، وذلك هو الصناعة القصوى، وهو الخير على الإطلاق، وأن كل ما يؤثر لأجل نفعه في بلوغ السعادة، وكل ما عاق عنها بوجه فهو شر. أن المدينة الفاضلة هي التي يتعاون أهلها على بلوغ الكمال الأخير، الذي هو السعادة القصوى، ويعد أهل هذه المدن من ذوي الفضائل دون سائر المدن. على خلاف المدن التي يقصد أهلها بلوغ اليسار أو التمتع باللذات.

الاعتدال في الأفعال نافع في بلوغ السعادة، سواء أكان ذلك الفرد واحداً أم لأهل مدينة بأسرها. ويشبه الفارابي ذلك بفعل الطبيب الذي يجعل الصحة نصب عينيه، عندما يقصد إلى استنباط المعتدل في الأغذية والأدوية التي تعالج بها البدن، لاينس ابو نصر أن يعطي اهمية كبيرة لرئيس المدينة الذي يكون غرضه وهدفه سعادة مدينته، لأن غرض الرئاسة وهدفها سعادة المدينة. كما أن الفارابي يذهب إلى أن رئيس المدينة الفاضلة أن يكون اكملهم سعادة، لأنه هو السبب في أن يسعد أهل المدينة.

أن السعادات عند الفارابي، تتفاضل بثلاثة أنحاء: بالنوع والكمية والكيفية. يشبه الفارابي ذلك بالصنائع، فهو يرى أن الصنائع تتفاضل بالنوع وتكون احداها أفضل من الأخرى، مثل الحياكة وصناعة العطر، ومثل صناعة الفقه، ومثل الحكمة والخطابة. أن هذه الأنواع تتفاضل الصنائع التي أنواعها مختلفة، وأهل الصنائع التي من نوع واحد بالكمية، أن يكون كاتبان مثلاً، علم احدهما من اجزاء صناعة الكتابة اكثر، وأخر أحتوى من اجزائه على أشياء أقل. مثل أن هذه الصناعة يلتئم بأجتماع علم شيء من اللغة وشيء من الخطابة وشيء من جودة هذه على جودة الخط مثلاً وعلى شيء من الخطابة، وآخر أحتوى على اللغة وعلى شيء من الخطابة وعلى جودة الخط، وآخر على الأربعة كلها. اما التفاضل في الكيفية، فهو أن يكون اثنان احتويا من اجزاء الكتابة على اشياء بأعيانها، ويكون أحدهما أقوى فيما أحتوى عليه وأكثر دراية، وهذا هو التفاضل في الكيفية. وكذلك السعادات فأنها تتفاضل بهذه الأنحاء أيضا.

أما سائر أهل المدن، فأن أفعالهم لما كانت رديئة، أكسبتهم هيئات نفسانية رديئة، وكلما واظب احد منهم على تلك الأفعال، ازدادت هيئته النفسانية نقصاً، فتصير أنفسهم مرضى، وربما استلذوا بهيأتهم وأفعالهم، كما يستلذ مرضى الأبدان بالأشياء التي لالذة فيها، ويتأذون بالأشياء التي هي لذيذة، كذلك مرضى النفوس، فأن فساد تخيلهم يجعلهم يلتذون بالأشياء التي هي لذيذة.

ولابأس ان أذكر بعض النصوص من كتاب التنبيه على سبيل السعادة، حين يعرف الفارابي من وجهة نظره، كفيلسوف أخلاقي، يهمه أن يتمتع الإنسان بالسعادة فرداً كان أم جماعة.

يبدأ الفارابي كتابه (التنبية على سبيل السعادة) بتعريف السعادة قائلاً: (أن **السعادة هي غاية ما يتشوقها كل إنسان، وأن كل من ينحو بسعيه نحوها، فأنما ينحوها على أنها كمال ما، فذلك مالا يحتاج في بيانه إلى قول، إذ كان في غاية الشهرة. وكل كمال**

وكل غاية يتشوقها الإنسان ، فأنما يتشوقها على أنها خير ما، فهو لا محالة مؤثر. ولما كانت الغايات التي تتشوق على انها خيرات مؤثرة كثيرة، كانت السعادة أجدى الخيرات المؤثرة).

ويقول في فقرة لاحقة: (أن السعادة إذا حصلت لنا لم نحتج بعدها أصلاً ان نسعى لغاية ما اخرى غيرها، ظهر بذلك أن السعادة تؤثر لأجل ذاتها ولاتؤثر لآجل ذاتها ولا تؤثر في وقت من الأوقات لأجل غيرها، فنتبين من ذلك أن السعادة هي أثر الخيرات واعظمها واكملها، وايضا فأنا نرى انها إذا حصلت لنا لم نحتج معها إلى شيء آخر غيرها. وما كان كذلك فهو احرى الأشياء بأن يكون مكتفيا بنفسه).

الفارابي يرى أن الفلسفة، هي الطريق الحقيقي للسعادة فيقول: (ولما كانت السعادات انما ننالها متى كانت لنا الأشياء الجميلة قنية، وكانت الأشياء الجميلة انما تصير قنية بصناعة الفلسفة، فلازم ضرورة أن تكون الفلسفة هي التي بها ننال السعادة، فهذه هي التي تحصل لنا بجودة التمييز).

ثم يردف الفارابي وهو يمجد العقل: (ولما كانت الخيرات التي هي للإنسان بعضها اخص وبعضها اقل خصوصا، وكان اخص الخيرات بالإنسان عقل الإنسان، إذ كان الشيء الذي به صار إنساناً هو العقل. ولما كان ما تفيده هذه الصناعة من الخيرات عقل الإنسان، صارت هذه الصناعة تفيد الخيرات التي هي أخص الخيرات بالإنسان).

الفصل الخامس

الفكر السياسي

يبدأ الفارابي فلسفته السياسية، بالقول أن الإنسان محتاج إلى الآخرين، لأنـه لا يستطيع أن يبلغ أفضل كمالاته بالاعتماد على نفسه فقط. أن الإنسان بـراي الفـارابي اجتماعي بالطبع، أو كما يعبر هو بالقول، أن الإنـسان مفطـور علـى الحاجـة في حياتـه إلى الآخرين.

الإنسان قادر على عمل معين فقط، وهذا بطبيعة الحال لا يوصـله إلى الكمـال. أن كل فرد في المجتمع هو عضو له ما للآخرين. أن كل واحد يحتاج إلى كل واحد بـشيء معين يعمله ويقدمه لعموم المجتمع.

وهكـذا يكـون التعـاون بـين الأفـراد، بحكـم الفطـرة الطبيعيـة الـتي كونـت المجتمعات، بهدف أن ينال الكمال كل فرد من أفراد المجتمع. أن الجماعة في مكان معـين، أول تنظيم للأفراد، في الاجتماع مـع بعـضهم، لتحيـق الراحـة والـسعادة والأمـان. بعـد هذا تكون الاجتماعات الإنسانية، التي تنتشر في المعمورة مـن الأرض، بهـدف البلـوغ إلى الكمال.

يرى الفارابي، أن الخير الأفضل والكمال الأقـصى يحـصل في المدينـة. أن المدينـة عنده تمثل المجتمع الكامل أن السكة هي جزء من المحلة، والمحلة جزء مـن المدينـة، كمـا أن القريـة هـي خادمـة للمدينـة. المهـم في هـذا الـشأن أن الأفـراد يتكـاملون في مجتمـع المدينة.

يعتقد الفارابي، أن الإنـسان ينـال الخير بـالإرادة والاختيـار، كمـا أنـه يـؤمن في الوقت نفسه، أن الشرور تكون بالإرادة والاختيـار. مـن هنـا، نجـده يحـث علـى التعـاون لبلوغ الغايات الحميدة، التي تحقق السعادة للمجتمع. أن المدينة التي يتعاون أفرادها في عمل الخير، هي المدينة الفاضلة، وأن الاجتماع الذي يتعاون به علـى نيـل الـسعادة، هـو الاجتماع الفاضل.

أن سـعادة المجتمعـات تتفاضـل بثلاثـة انحـاء: بـالنوع والكميـة والكيفيـة. أن تفاضل الصنائع بالنوع، هو أن تكون صـناعات مختلفـة بـالنوع، ولكـن أحـداهما أفـضل

من الاخرى، مثل الحياكة وصناعة العطر، وصناعة الكتابة، ومثل صناعة الرقص وصناعة الفقه، ومثل الحكمة والخطابة.أما االصنائع التي تتفاضل بالحكمة، مثل أن يكون كاتبان، علم أحدهما من أجزاء صناعة الكتابة أكثر. صناعة الكتابة تلتئم بإجتماع علم شيء من اللغة وشيء من الخطابة وشيء من جودة الخط وشيء من الحساب. أن التفاضل يكون، بأن بعض الكتاب يكون قد حصل على جودة الخط وشيء من الحساب، وبعضهم الآخر قد احتوى على جودة الخط وشيء من الخطابة، وقسم ثالث قد حصل على جودة الخط وشيء من اللغة والخطابة وجودة الخط، وقسم رابع قد سيطر على جميع عناصر الكتابة. أما التفاضل في الكيفية، هو أن يكون إثنان قد حصلا من أجزاء الكتابة على أشياء بأعيانها، على أن احدهما يكون اقوى فيما احتوى عليه ويكون أكثر دراية ايضاً.

وهكذا فأن أفعال أهل المدن، إذا كانت فاضلة اكسبتهم هيئات نفسية فاضلة، وإذا كانت رديئة اكسبتهم هيئات نفسية ردئية. يبدو لي هنا، أن الفارابي يؤمن بالممارسة. أن الممارسة عنده ترفع من شأن العمل الصالح درجات كلما واصل الإنسان على الرياضة والتمرين، وتحط من شأنه بالممارسة ايضا.

أنه يشير في هذا الشأن، إلى الأفعال والصناعات. أن الأفعال – برأي الفارابي – تكسب الإنسان هيئات عامة بحسب ما تكون فاضلة أو سيئة. الإنسان كلما ازداد في عمل الفضيلة ازداد فضلاً، وإذا ما واظب على الأفعال السيئة، إزدادت هيئته النفسانية نقصاً.

أن الذين يمارسون عمل الفضيلة يرتقون في درجات الكمال، أما الذين ينحدرون في الأعمال السيئة، فأنهم يصيرون مرضى في نفوسهم. انهم يكونون اشبه بمرضى الأبدان. أن مرضى الأبدان يفسد مزاجهم، فلا يلتذون بالطعوم اللذيذة. كذلك هو شأن مرضى النفوس فأنهم يستلذون بالأفعال الردئية، ويتأذون بالأشياء الجميلة الفاضلة.

يرى الفارابي، أن هناك أشياء مشتركة، ينبغي أن يعلمها جميع أهل المدينة الفاضلة. أول هذه الأشياء ، معرفة السبب الأول وجميع ما يوصف به، ثم الأشياء المفارقة للمادة، وما يوصف كل واحد منها بما يخصه من الصفات والمرتبة، إلى أن تنتهي من المفارقة إلى العقل الفعال. بعد هذا، يطلب الفارابي من أهل المدينة الفاضلة معرفة الجواهر السماوية وما يوصف به كل واحد منها، ثم معرفة الأجسام الطبيعية التي تحتها، وكيف تتكون وتفسد بعد ذلك، ينبغي معرفة حقيقة كون الإنسان، وكيف تحدث قوى النفس، وكيف يفيض عليها العقل الفعال بالضوء حتى تحصل المعقولات الأول، وتكون الإرادة والاختيار، ثم معرفة الرئيس الأول، وكيف يكون الوحي، ثم الرؤساءالذين يخلفونه، ومعرفة المدينة الفاضلة وأهلها، والسعادة التي تصير إليها نفوسهم. في الوقت نفسه، ينبغي عليهم معرفة المدن المضادة للمدن الفاضلة، وكيف تؤول أنفسهم بعد الموت، وأن بعضهم إلى الشقاء وبعضهم إلى العدم.

يطلب الفارابي من اهل المدينة الفاضلة أيضا أن يعرفوا أحوال الأمم الفاضلة، والأمم المضادة لها. أنه يقول، أن ذلك يتم بوجهين، فأما أن ترتسم في نفوسهم كما هي موجودة، وأما أن ترتسم فيهم بالمناسبة والتمثيل. وذلك أن يحصل في نفوسهم مثالاتها التي تحاكيها.

أن حكماء المدينة الفاضلة، هم الذين يعرفون هذه الأشياء ببراهين وبصائر انفسهم. أما الذين يلون الحكماء بالمرتبة، فأنهم يعرفون ذلك بأتباع راي الحكماء والثقة بهم وتصديق آرائهم. أما الباقون منهم فيعرفونهم بالمثالات التي تحاكيها.

لاشك أن معرفة الحكماء افضل، لأنهم يدركون الحقائق بعقولهم مباشرة، يلي ذلك بالأهمية، الذين يعرفون الحقائق بالمثالات التي تحاكيها. أن بعضهم يعرفونها بمثالات قريبة منها، وبعضهم بمثالات أبعد من تلك.، وبعضهم بمثالات بعيدة جداً.

المهم في هذا الشأن، أن معرفة الحكماء لا تقبل التزييف، كما أن من وصل إلى مرتبة المقلدين للحكماء، يصل إلى درجة معينة من الوقوف على معرفة الحق. أما

الذين لا يقتنعون، وفي الوقت نفسه لهم تشوق إلى الحكمة، كان في طريقه إلى عملها. اما الصنف الذين يهدفون إلى التمتع باللذة وحب الجاه والمال، ويرون أن قوانين المدينة الفاضلة تمنعهم من ذلك، فأنهم يعمدون إلى تزييف آراء المدينة الفاضلة. أن التزييف يكون بوجهين، اما بالعناد والمكابرة أو بالمغالطة والتمويه. أما الصنف الآخر، منهم من سيئي الفهم، لأنهم يتخيلون الحق على غير ما هو عليه، فيفهمونه على وفق تصورهم، حتى انهم يتصورونه انه لا حق اصلاً. أنهم اكثر من ذلك، يظنون أن الذي يرشد إلى الحق مغرور، وأن الذي يقال فيه أنه مرشد إلى الحق، هو مخادع مموه.

الفارابي يعطي اهمية كبيرة لرئيس المدينة، إلى درجة أنه يقول أن آراء وافعال الملة، هي مقدرة مقيدة بشرائط يرسمها لهم رئيسهم الأول. الفارابي يقول أن الجمع - وهو يقصد المجتمع - ربما كان عشيرة، وربما كان مدينة أو صقعاً، وربما كان أمة عظيمة، وربما كان امماً كثيرة.

لاشك أن الفارابي، يقصد بالأمة العظيمة، الأمة الكبيرة، المترامية الأطراف، وهو يقصد ضمنياً، الأمة الإسلامية، التي كانت في زمنه، تشكل الدولة العربية الإسلامية، التي تمتد حدودها من الأندلس إلى الصين. أما المجتمع الذي يكون امماً كثيرة، وهو يقصد المجتمع الإنساني. الفارابي تجاوز حدود المجتمعات المحلية، مهما كانت كبيرة، والقول بالمجتمع الإنساني الواحد، الذي يسكن على سطح المعمورة.

يسند الفارابي خيرات الملة وشرورها إلى رئيس المدينة. أنه يقول صراحة، أن الرئيس الأول أن كان فاضلاً وكانت رئاسته فاضلة في الحقيقة، فأنه انما يلتمس بما يرسم من ذلك أن ينال هو وكل من تحت رئاسته، ينالون السعادة القصوى، التي هي في الحقيقة سعادة، وتكون تلك الملة ملة فاضلة. أما إذا كان الرئيس جاهلاً وكانت رئاسته جاهلية، فأنه انما يلتمس بما يرسمه من ذلك، أن ينال هو بهم خيراً ما من الخيرات الجاهلية، أما الخير الضروري، الذي هو الصحة والسلامة واليسار واللذة والكرامة والجلال، فهو يفوز بذلك الخير ويسعد به دونهم.

الفارابي يحلل طبيعة الرئاسة الجاهلية، ويغور إلى أعماق الرئيس محللاً دارساً، فينتهي في الراي إلى أن هذا الرئيس يجعل من تحت رئاسته آلات يستعملهم في أن يصل بهم إلى غرضه ويستديمه، وأما أن يلتمس بذلك، أن ينال ذلك الخير دونهم جميعاً.

يقرر الفارابي، أن رئاسة الجاهلية رئاسة ضلالة، أن من نباهة الفارابي في هذا الشأن، ومدى تعمقه وفهمه لهذا النوع من حكام الدول، أنه يدرك، أن رئيس الجاهلية يظن بنفسه الفضيلة والحكمة – على الرغم من أنه ليس كذلك – وأن السبب المباشر في هذا الراي من لدن أعوانه، لأنهم مع رئيسهم، هم الذين ينالون السعادة القصوى ويتمتعون بالخير العميم.

يستطرد الفارابي في وصف الرئيس الأول الفاضل ويصفه من وجهة نظر إسلامية، وكأنه يعمل وفق وحي يوحى إليه، أو قوة عقلية تستند إلى الوحي. يقول الفارابي، أن الرئيس الأول الفاضل، تكون مهمته ملكية مقرونة بوحي من الله إليه. أن مثل هذا الرئيس، يقدر الأفعال والآراء، التي في الملة الفاضلة بالوحي، وذلك يتم بأحد وجهين أو بكليهما. احدهما أن توحي إليه هذه كلها مقدرة، والثاني أن يقدرها هو بالقوة التي استفادها عن الوحي والموحي تعالى، حتى تكشفت له بها الشرائط التي بها يقدر الآراء والأفعال الفاضلة. أو يكون بعضها بالوجه الأول وبعضها بالوجه الثاني. يفسر الفارابي بعد ذلك رأيه ويوضحه، حين يضيف أنه قد يبين في العلم النظري، كيف يكون وحي الله تعالى إلى الإنسان الذي يوحي إليه، وكيف تحصل في الإنسان، القوة عن الوحي والموحي.

أن الآراء التي في الملة الفاضلة، منها آراء في أشياء نظرية وآراء في أشياء إرادية. الآراء النظرية ما يوصف الله تعالى به، ثم ما يوصف به الروحانيون ومراتبهم في أنفسهم ومنازلهم من الله تعالى، وما فعل كل واحد منهم. ثم كون العالم وما يوصف به

العالم وأجزاؤه ومراتب اجزائه. وكيفية ارتباط الأشياء التي يحويها العالم بعضها ببعض وانتظامها، وأن كل ما يجري فيها عدل لا جور فيه، وكيف نسبة كل واحد منها إلى الله تعالى وإلى الروحانيين، ثم أن توصف النبوة ما هي، والوحي كيف هو وكيف تكون، ثم ما يوصف به الموت والحياة الآخرة، والسعادة التي يصير عليها الأفاضل والأبرار، والشقاء الذي يصير إليه الأراذل والفجار في الحياة الآخرة.

أما الضرب الثاني، فهو ما يوصف به الأنبياء والملوك الأفاضل والرؤساء الأبرار وأئمة الهدى والحق، كما يوصف به الملوك الأراذل والرؤساء الفجار المتسلطون من أهل الجاهلية وأئمة الضلال، الذين كانوا في الزمن السالف، واقتصاص ما اشتركوا فيه وما اختص به كل واحد من أفعال الشر، وما آلت إليه أنفسهم وأنفس من انقاد لهم واقتدى بهم من المدن والأمم، في الآخرة.

كما أن من الضرب الثاني، ما يوصف به المعاصرون في الزمن الحاضر من الملوك الأفاضل والأبرار وأئمة الحق، وذكر ما شاركوا فيه من تقدمهم وما اختص به هؤلاء من أفعال الخير. في الوقت نفسه، يوصف به ايضاً الرؤساء الفجار وأئمة الضلال في الزمن الحاضر، واقتصاص ما شاركوا فيه من افعال الشر، ما تؤول إليه أنفسهم في الآخرة.

يؤكد الفارابي، على أهل الملة الفاضلة، أن يعظموا الله والأنبياء بالأفعال والأقاويل، ثم يعظموا الملوك الأفاضل والرؤساء الأبرار وأئمة الهدى، الذين كانوا فيما سلف، كما أنهم يمدحون الملوك والرؤساء الأبرار المعاصرين لهم. في الوقت نفسه، يشيرون باستنكار واستهجان إلى أعمال الملوك والرؤساء الفجار وأئمة الضلال، السابقين منهم والذين يعاصرونهم ايضاً. بعد هذا، ينبغي تقويم الأفعال الإنسانية في المجتمع وتقدير المعاملات، فيما ينبغي أن يعمله الإنسان بنفسه، وما ينبغي أن يعامل به غيره، وتقويم هذه الأفعال وفقاً لقانون العدل.

يربط الفارابي الملة بالدين، حتى أنه يقول انهما أسمان مترادفان، وفي الوقت نفسه، يربط الملة بالفلسفة. ان الآراء المقدرة التي في الملة الفاضلة، اما حق واما امثال الحق. ان الحق بعامة، ما تيقن به الإنسان اما بنفسه بعلم أول، وأما ببرهان.

يشبه الفارابي الملة الفاضلة بالفلسفة، ثم يفسر ذلك قائلاً، كما أن الفلسفة منها نظرية ومنها عملية، فالنظرية الفكرية هي التي إذا علمها الإنسان لم يستطع أن يعملها، أما الفلسفة العملية، فهي التي إذا علمها الإنسان أمكنه أن يعملها.

أن الجزء العملي من الفلسفة إذن هو الذي يعطي أسباب الشرائط التي يقدر بها لأفعال لأجل أي شيء شرطت، واي غرض قصد ان ينال بتلك الشرائط. لما كان علم الشيء هو العلم البرهاني، فهذا الجزء من الفلسفة، هو الذي يعطي برهان الأفعال المقدرة التي في الملة الفاضلة. الفلسفة إذن هي التي تعطي براهين ما تحتوي عليه الملة الفاضلة.

أن الرئيس الأول للمدينة قد يلحقه أو يعرض له ما يمنعه أن يقدر الأفعال كلها ويستوفيها، فتبقى افعال كثيرة لا يقدرها لأسباب تعرض، اما لأن المنية تخترمه وتعاجله قبل أن يأتي على جميعها، ولأشغال اخرى تعوقه من حروب وغيرها، واما لأنه لا يقدر على فعل أشياء قد تمنعه عوارض على إتمامها.

ان الرئيس الأول يبتدئ في ان يشرع ويقدر الأفعال التي هي أعظم قوة وأكثر نفعاً وأشد غنى وجدوى في أن تلتئم بها المدينة وترتبط وينتظم امرها. انه يشرع في تلك وحدها ويترك الباقية، اما لوقت فراغه لها، أو لأن غيره يمكنه أن يستخرجها، أما في زمانه أو بعده، إذا حذا حذوه.

إذا خلف الرئيس الأول بعد وفاته من هو مثله في جميع الأحوال، كان هذا اقدر على افعال لم يستطع أن ينجزها ما هو اصلح لزمانه. ان الزمن يتغير، ولكل عصر متطلباته الخاصة به. الثاني إذن يعمل ما يراه موافقاً للوقت الذي يحكم فيه، وهكذا هو الحال، إذا خلف الثاني رئيس ثالث مثل سابقيه في جميع احواله. إذا جاء

دور الرابع وكان مثل أسلافه، فأنه يضيف ما هو صالح لأهل المدينة، بحسب الزمن الذي يعيش فيه.

يستطرد الفارابي، بعد ذلك، أو كأنه يصف حالة الدولة الإسلامية في عصرها الأول، حين يقول إذا مضى واحد من هؤلاء الأئمة الأبرار، الذين هم الملوك في الحقيقة، ولم يخلفه من هو مثله في جميع الأحوال، احتيج في كل ما يعمل في المدن التي تحت رئاسة من تقدم، وأن يحذو حذوه في العمل. ويجيزالفارابي للرئيس الذي يجد نفسه قد جاء في اثر ملوك صالحين، فلا بأس أن يجتهد ويستنبط، ويستخرج عن الأشياء التي سار عليها من سبقه من الرؤساء الأخيار. كما أنه لا بأس أن يضطر إلى صناعة الفقه، بحسب واضع الشريعة.

وأن الهدف من العلم المدني – كما يرى الفارابي – هو السعادة. يبدو أن الفارابي قد أدرك أن السعادة الحقة التي يطلبها الإنسان، أو السعادة القصوى كما يسميها، لا تتحقق في هذه الحياة، بل أنها تتحقق في الحياة الآخرة، ولهذا أطلق عليها السعادة القصوى. أن ما يتحقق في هذه الحياة مثل الثروة واللذة والكرامة والقنية ليست سعادة، بل هي أقرب إلى ما يطلق عليها الناس أسم الخيرات.

مع ذلك، فأن الخيرات لا يمكن أن توجد كلها معاً في إنسان واحد، ولا أن يستعملها إنسان واحد، بعيداً عن الجماعة. أن التعاون بين الجماعة إذن ضروري للحصول على الخيرات والإفادة منها. أن الجماعة هي وحدها القادرة على تحقيق الخير. مثال ذلك في حرفة الفلاحة، فأن الإنسان وحده غير قادر على القيام بمتطلبات الفلاح من دون مشاركة الآخرين لبه، وتزويده بما يحتاج لعملية الزراعة. أن الفلاح يحتاج إلى النجار ليعد له خشبة الكراب وإلى الحداد الذي يزوده بحديدة الكراب، ثم إلى بقرة تجر الفدان.

الفارابي إذن يؤمن بالعمل الجماعي، لأن الفرد مهما تكن قابليته، فهو محدود بحدود عقلية وجسمية. أن الفرد مهما كانت قوته، فهو يستطيع أن يقوم بعمل معين

واحد، وهو قادر أن يجيد الفعل الذي يحسنه. من هذا المنطلق، يرى الفارابي أن تعاون الجماعة ضروري لتحقيق الخير للإنسان.

يستطرد الفارابي بفكرته العامة، أن الأفعال والملكات الإرادية، لا يمكن أن يبلغ بها الغرض، دون أن تتوزع أنواعها في جماعة عظيمة، أما واحد واحد في جماعة صغيرة تعيش متجاورة في مساكن متقاربة، ويشبه تعاونها أعضاء الإنسان، التي فيها يكمل تحقيق الهدف بجملة أعضاء البدن. بعد ذلك ينطلق الفارابي بنظريته القائلة، أن من الجماعات تتكون جماعة المدينة، ثم من مجتمعات المدن يكون مجتمع الأمة، ومن مجتمعات الأمم يكون المجتمع الإنساني.

يعد الفارابي عمل رئيس الدولة مهنة، ثم يقول أنه ليس المهم ما يطلق عليها من أسماء مثل الملك أو الحاكم أو الرئيس. المهم أنها مهنة ملكية، وأن السياسة هي فعل هذه المهنة، وذلك أن تفعل الأفعال التي بها تمكّن تلك السير وتلك الملكات في المدينة والأمة وتحفظ عليهم.

يبقى الفارابي عند فكرته في توزيع المجتمعات إلى مجتمع مدينة أو مجتمع امة أو مجتمع امم (المجتمع الإنساني)، وأن الرئاسة الفاضلة، هي تحفظ الأفعال الخيرة والملكات، سواء أكان ذلك في المدينة أم الأمة، وتجتهد تلك الرئاسة في حفظها عليهم حتى لا تزول ولاتبيد. ان شروط تلك الرئاسة، تكون بمهنة وصناعة وملكة وقوة.

يرى الفارابي من الشروط الرئاسية هذه أو الملكية، أنه يقول أن حاكم المدينة ينبغي أن يتميز بصفات طبيعية تميزه للرئاسة، إضافة إلى جودة الممارسة وحسن الخبرة، ليتمكن من رئاسة المدينة أو الأمة على أحسن وجه.

يضيف أبو نصر، أن المهنة الملكية تلتئم بمعرفة جميع الأفعال، التي بها يتأتى التمكين أولاً والحفظ بعد ذلك. ان هذه المهنة، التي تحقق السعادة القصوى للمجتمع، هي مهنة الرئاسة الفاضلة وأن المهنة الملكية، التي بها هذه الرئاسة، هي المهنة الملكية

الفاضلة، كما أن السياسة الكائنة من هذه المهنة، هي السياسة الفاضلة. أن المدينة أو الأمة المنقادة لهذه السياسة هي المدينة الفاضلة والأمة الفاضلة، كما أن الإنسان الذي هو جزء من هذه المدينة أو الأمة، هو الإنسان الفاضل.

أما المهنة الرئاسية أو الملكية، التي لا يقصد بها أن ينال السعادة القصوى، بل يكتفي بالحصول على الخيرات، التي هي متاع هذه الحياة الدنيا، فأنها جاهلية ومهنة جاهلية، كما أن المدينة أو الأمة المنقادة للرئاسة الجاهلية من أفعال وملكات تسمى المدينة أو الأمة الجاهلية، والإنسان الذي هو جزء من هذه المدينة، يسمى إنساناً جاهلياً.

للفارابي راي طريف في هذا الشأن، لابأس من ذكره. بعد أن يقرر الفارابي، أن الإنسان الفاضل ساكن في مدينة جاهلية من غير إرادته. ولهذا ينصح الفارابي الرجال الأفاضل، الذين دفعوا إلى سكنى المدن الجاهلية لعدم المدينة الفاضلة فعليهم بالهجرة إلى المدينة الفاضلة، إذا اتفق وجودها في وقت ما.

يعتقد أبو نصر، أن الرئاسة الفاضلة ضربان رئاسة أولى ورئاسة تابعة للأولى. الرسالة الأولى هي التي تمكن في المدينة أو الأمة، الملكات والسير الفاضلة أولاً، من غير أن تكون تلك فيهم قبل ذلك، وتنقلهم مع ذلك عن السير الجاهلية إلى السير الفاضلة.

يقرر الفارابي أن الذي يقوم بهذه العملية الفاصلة هو الرئيس الأول، يخيل لي، أن الفارابي يعني بالرئيس الأول، النبي أو مؤسس الدولة. السبب لأن الفارابي يكرر القول بأن هذا يأتي بملكات وسير لم تكن فيهم من قبل، بل اكثر من هذا فأنه يقول أن الرئيس الأول هذا، يرفعهم من السيرة الجاهلية إلى السيرة الفاضلة.

أما الرئيس التابع للرئيس الأول، فهو الرئيس المباشر والمقلد بما جاء به الرئيس الأول، وأن رئاسة الرئيس الثاني تقتضي في افعالها حذو الرئاسة الأولى. أن القائم بهذه الرئاسة يسمى رئيس السنة وملك السنة ورئاسته هي الرئاسة السنية.

المهم في الأمر، أن الرئاسة الفاضلة الأولى تلتئم بمعرفة جميع الأفعال التي بها يتأتى تمكين السير والملكات الفاضلة في المدن والأمم، وحفظها عليهم، وحياطتها واحرازها عن أن يداخلها شيء من السير الجاهلية.

يشترط الفارابي بالرئيس الأول، أن يتميز بقدرتي القوة والفعل. أن القوة يحصل عليها من يمارس المهنة الملكية، من استيعابه معرفة الأشياء الكلية وبقدرته عليها، إضافة إلى أن تكون معه قوة أخرى استفادها من طول التجربة والمشاهدة، تساعده على تقدير الأفعال في كميتها وكيفيتها وأزمانها، وسائر ما يمكن أن تقدر بها الأفعال.

أن القوة الرئاسية التي يقتدر بها الإنسان على استنباط الشرائط التي يقدر بها الأفعال، بحسب ما يشاهد في جماعة جماعة أو مدينة مدينة أو طائفة طائفة أو واحد واحد، وبحسب كل عارض في مدينة أو أمة أو في إنسان واحد، هي ما يعرف بالتعقل. أن هذه القوة تحصل بطول التجربة في الأشخاص، إضافة إلى معرفة كليات الصناعة واستيفائها.

أن العلم المدني الذي هو جزء من الفلسفة يشتمل على جزئين، جزء يشتمل على تعريف السعادة في الحقيقة وجزء على المظنون بها أنها سعادة. أن العلم المدني إذن، غرضه الكلية، التي شأنها أن تكون في المدن والأمم، ويميز الفاضل من غير الفاضل.

العلم المدني ايضاً، يحصي أصناف المهن الرئاسية غير الفاضلة، ويعطي رسوم الافعال التي تفعلها كل واحدة من تلك المهن الرئاسية، حتى ينال بها عرضها من أهل المدن التي تحت رئاستها، ويبين أن تلك الأفعال والسير والملكات التي هي غير فاضلة، هي أمراض المدن الفاضلة، وسيرها وسياساتها، أمراض المهنة الملكية الفاضلة، وأما الأفعال والسير والملكات التي في المدن غير الفاضلة، فهي أمراض المدن الفاضلة.

أن الشيء المهم، الذي يذهب إليه الفارابي، أن المهنة الملكية (الرئاسية) الفاضلة الأولى، لا يمكن أن تكون افعالها على إتمام إلا بمعرفة طليات هذه الصناعة، بأن تقرن إليها الفلسفة النظرية، وأن يضاف إليها التعقل ، وهو القوة الحاصلة عن التجربة الكائنة بطول مزاولة افعال الصناعة، في الجماعات والمدن والأمم، وبهذا تلتئم المهنة الملكية الفاضلة.

أما الرئاسات التابعة لها، فأنها لا تحتاج إلى الفلسفة، بل أن رؤساءها يتبعون ويقلدون الرئيس الأول. في هذه الحالة، فأن أولاد الملوك الذين يتوقع منهم ان يكونوا ملوكاً يتربون ويؤدبون على مثال حال الرئيس الاول، حتى يصير الواحد منهم ملكاً على التمام.

أما الملوك الذين رئاستهم جاهلية، ففي راي الفارابي، أن هؤلاء لا يحتاجون إلى كليات هذه الصناعة ولا إلى الفلسفة . أن كل واحد من هؤلاء الرؤساء يصير إلى غرضه بالقوة التجريبية، التي تحصل له في جنس الأفعال التي ينال بها مقصودة، ويصل بها إلى غرضه، اما بتجربته هو أو بتجربة غيره من المشاركين له في مقصده، وجمع إليها ما جربه هو عن امور استنبطها هو بخبث قريحته ودهائه، عن الأصول التي حصلت له بالتجربة.

أن العلم المدني بعد ذلك، يعرف مراتب الأشياء التي في العالم، اي مراتب الموجودات كلها. يبتدئ من الأشياء البسيطة المتأخرة، التي تخدم ولا تراس. يرتقي بعدها إلى الأشياء التي تروس هذه، ومع ذلك فهي ليست تامة الرئاسة. ثم يرتقي إلى رئاسات تستغني عن تروسها غيرها. ما يزال يرتقي في انواع الرئاسات، من أشياء في مراتب سفلى إلى اشياء في مراتب عليا، أتم رئاسة من التي دونها. وهكذا يرتقي الأكمل فالأكمل من الموجودات، حتى ينتهي إلى رتبة لا يمكن أن يكون فيها إلا موجود واحد في العدد، واحد في كل وجوه الوحدة. ولا يمكن أن تكون فوقها رئاسة، بل يكون

الرئيس الذي في تلك الرتبة، يدبر ما دونه. انه يرؤس كل ما دونه، لأنه لا نقص فيه، ولأن لا كمال أتم من كماله ولا وجود افضل من وجوده.

كل المراتب إذن، دون الرئيس الأول، تخدم بأفعالها الرئيس الأول. انها تأتلف وترتبط بعضها ببعض، حتى تكون كشيء واحد، لقوة تدبير ذلك الواحد لها ونفاذه في جميعها، على قدر مرتبته وبحسب ما يلزم أن يكون عليه من الرتبة في الوجود.

يأخذ نظائر هذه في القوى النفسانية الإنسانية ثم نظائر هذه في أعضاء بدن الإنسان، ثم نظائرها في المدينة الفاضلة، فيجعل منزلة الملك أو الرئيس الأول فيها في منزلة الإله، الذي هو المدبر الأول للموجودات وللعالم وأصناف ما فيه.

يحاول الفارابي أن يرتقي بتعريف وسياسة الملة، من أدنى المخلوقات، ثم يرتقي إلى الأفراد الذين يخدمون بأفعالهم فقط ولا يراسون، ثم إلى رتبة مدبر ملك المدينة الفاضلة والرئيس الأول من الروحانيين. لاشك أنه يقصد بالر ئيس الأول الروحاني أنه النبي، وذلك لأن أبا نصر يضيف بتعريفه قائلاً: أنه الذي جعل الروح الأمين، وهو الذي به الوحي الله تعالى إلى الرئيس الأول للمدينة.

مازال الفارابي يطالب بالإرتقاء، إلى أن ينتهي إلى الإله جل ثناؤه، وكيفية نزول الوحي من عنده إلى الرئيس الأول (النبي)، فيدبر الرئيس الأول المدينة أو الأمة أو الأمم، بما يأتي به الوحي من الله تعالى، فينفذ التدبير من الرئيس الاول إلى كل قسم من أقسام المدينة.

يذهب الفارابي أكثر من ذلك، فيقول أن الله تعالى هو المدبر ايضاً للمدينة الفاضلة كما هو المدبر للعالم. أن تدبير الله تعالى للعالم بوجه وتدبيره للمدينة الفاضلة بوجه آخر، غير أن بين التدبيرين تناسب، وبين أجزاء العالم أجزاء المدينة أو الأمة الفاضلة تناسب.

الفارابي يلحف بالتأكيد على لزوم الإئتلاف والارتباط والانتظام والتعاضد بالأفعال، بين أجزاء الأمة الفاضلة. يذهب ابو نصر في القول، كما ان مدبر العالم جعل

الذي يتميز بـه الفيلسوف، وبـين النبي بما يمتلك مـن قـوة قدسية ومخيلة ممتازة تتقبل الوحي.

المهم في هذا الشأن، أن الفارابي كفيلسوف مسلم، مخلص للفلسفة ومؤمن بالدين الإسلامي، يرى أن الفلسفة والوحي مصدرهما الجود الإلهي، يسبغهما الله على المميـزين من عباده الصالحين. أبـو نـصر يقـول صـراحة، أن الفيلسوف والنبي هما أولى النـاس برئاسة المدينة الفاضلة، السبب لأن كلاً منهما من منبع صاف أصيل، ويهـدف إلى غايـة سامية، هي تحقيق السعادة والعدل للجماعة البشرية.

السياسة الفاضلة، التي يطلبها الفارابي، هي أن يحقق السائس لأبناء المدينـة، مـا ينالـه الإنسـان من الفضائل في حياتهم الدنيوية والحياة الآخـرة، في الحيـاة الدنيـا، ينبغـي أن تكـون أبدانهـم في أكمل الهيئـات، ونفوسهم في افضل الحالات، مما يحقـق لهـم السعادة في الحياة الآخرة.

يكـرر الفـارابي في كتاباتـه الـسياسية، أن مـدبر المدينـة أشـبه بالطبيـب أن الطبيب يعالج كل عضو معتل بحسب قياسه إلى جملة البدن وإلى الأعـضاء المجاورة لـه والمرتبطـة بـه، كـذلك مـدبر امـر كـل فـرد مـن النـاس ويفيـده بالقيـاس إلى الأعـضاء الآخرين في مجتمع المدينة، وإلى جملة المدينة كبناء متكامل قائم بذاته.

أن الهدف الأسـاس إذن مـن مـدبر المدينـة، الـذي هـو الملك أو الـرئيس، أن يحقـق السعادة لأهل المدينة، وفي الوقت نفسه، أن يسعد نفسه ايضاً. يحبـذ الفـارابي أن يكـون ملك المدينة الفاضلة أكملهم سعادة، ليكون السبب في أسعاد اهل المدينة.

أن الرؤساء الذين يحققون الخيرات لأهل المدينة هـم رؤسـاء كرامـة وهـم افـضل رؤساء. أما الذين يسعون إلى الكسب ليكونوا اهـل يـسار، أو الـذين يعـاملون اهـل المدينـة بالإرهـاب والإذلال، فهؤلاء أولى أن يـسموا أهـل خـساسة الرئاسـة. أمـا الـذين يـستبدون ويجعلون أهل المدينة أشبه بالآلات، وينفـردون باليـسـار والكرامـة واللـذات، دون أبنـاء المدينة، فلا يستحقون أن يسموا ملوكاً.

من الملاحظ انه ليس هناك طبقية في فكر الفارابي، في نظرته لأبناء المدينة. أنه ينظر إلى المجتمع نظرة إدارية، حين يقول أن هناك رئيساً يَراس ولا يُراس، وهو لاشك رئيس المدينة. هناك الإداريون، الذين يساعدون الملك في إدارة المدينة، فهم يراسون العامة ويراسهم رئيس المدينة. وهناك العامة، فهم مرؤوسون ولا يراسون احداً اما من ناحية القدرات العقلية والإدارية، فأن أبا نصر يقول أن المدينة الفاضلة اجزاؤها خمسة: الأفاضل وذوو الألسنة والمقدرون والمجاهدون والماليون. الأفاضل: هم الحكماء والمتعقلون وذوو الآراء في الأمور العظام. ثم حملة الدين وذوو الألسنة: وهم الخطباء والبلغاء والشعراء والملحنون والكتاب ومن يجري مجراهم وكان في عدادهم. المقدرون: وهم الحساب والمهندسون والأطباءوالمنجمون ومن يجري مجراهم. المجاهدون: وهم المقاتلون والحفظاء ومن جرى مجراهم وعدّ فيهم. الماليون: وهم مكتسبو الأموال مثل الفلاحين والرعاة والباعة ومن جرى مجراهم.

الفارابي بالحقيقة، يعطي صورة عملية لمجلس شورى رئاسي يستطيع التنفيذ، أو ربما أن المجلس الذي يقترحه اشبه بمجلس وزراء معاصر. بعد أن يذكر الفارابي صفات الرئيس الأول أو الملك في الحقيقة يقول بعد ذلك، أن ليس كل إنسان تجتمع فيه صفات الرئيس الأول. لابأس أن يشارك في الحكم جماعة تقوم مقام الملك، ويسمون الرؤساء الأخيار، ورئاستهم تسمى رئاسة الأفاضل.

من ضربات الفارابي العبقرية، حين يقول أن السائس الفاضل والرئيس الأول، لا يستطيع أن يغرس في أبناء المدينة، كل ما يملك من فضائل. أنه يبلغهم الغرض الأسمى، وكل واحد يأخذ بمقدار ما هو أهل له أو يقدر عليه فيتمثله من اجل المنفعة واكتساب الفضيلة. الفارابي يشبه السائس بالطبيب، حين يقول أن الطبيب الفاضل ليس عليه أن يبلغ الأبدان إلى أكمل منازل الصحة وأعلى درجاتها، بل حسبه ان يبلغ بها من الصحة إلى أكثر ما يمكن من طبعها وجوهرها وبحسب أفعال النفس.

يـؤمن الفـارابي بالتخـصص الـدقيق، حـين يـشير ان علـى كـل واحـد مـن ابنـاء المدينة الفاضلة، أن يفوض إليه صناعة واحدة، وعمل واحد يقوم به. ابـو نـصر يعـزو ذلك إلى ثلاثة أسباب. السبب الأول أنـه لا يتفـق ان يكـون كـل إنـسان يـصلح لكـل عمـل وكل صناعة، لأن إنسان يصلح لعمل معين دون عمـل آخـر. الـسبب الثـاني، ان الإنـسان الـذي يتجـه إلى صـناعة معينـة، وينفـرد فيهـا دون أن يتـشاغل بأعمـال اخـرى، فأنـه سيجود في صناعته، ويكون أفضل واحدق في عمله. السبب الثالث، ان كثيراً من الأعمال ينبغي أن تنجـز في وقـت معـين، لأنهـا إذا تـأخرت فاتـت، وقـد يتفـق ان يكـون عمـلان وقتهمـا واحـداً بعينـه، فـأن تـشاغل بأحـدهما فاتـه واحـد لكـل عمـل مـن العملـين، فينجزان في الوقت المحدد، وعلى الصورة المبتغاة.

يخيـل للـذي يـدرس فكـر الفـارابي الـسياسي، يتـصور لأول وهلـة، ان الفـارابي يحاول أن يقيم مدينته الفاضلة، على أسـس مثاليـة غـير أن الـدارس لفلـسفة الفـارابي بتأن وإمعان، سرعان ما يكتشف أن الفارابي، يـضع النظريـات ويرسـم الخطـوط لبنـاء المدينـة، وكأنـه عالم اجتماع متعمق متمرس.

أستطيع القول، أنه يجمع بين النظرة الفلسفية وبـين واقـع الحـال، ممـا يـراه في المجتمع الإسلامي، الذي يعيش في ظله، ويتعامل مع احداثه. الفارابي – مـثلاً يـرى أن السعادة تحصل لأهل المدن والأمم، في الحياة الدنيا والأخرى، إذا توافرت أربعـة اجنـاس من الفـضائل: الفـضائل النظريـة والفـضائل الفكريـة والفـضائل الخلقيـة والـصناعات العملية.

أمـا الفـضائل النظريـة، فهـي العلـوم الـتي الغـرض الأقـصى منهـا أن تحـصل الموجودات، وهذه العلوم منها ما يحصل للإنسان منـذ أول امـره مـن حيـث لا يـشعر ولا يدري كيف ومن أين حصلت، وهي العلوم الاول، ومنها مـا يحصل بتأمـل وعـن فحـص واسـتنباط وتعلـم وتعليـم. أن الأشـياء المعلومـة بـالعلوم الأول هـي المقـدمات الاول، ثـم يصار منها إلى العلوم التي تحصل عن فحص واستنباط وتعلم وتعليم.

الفضيلة الفكرية، وهي التي تستنبط ما هو أنفع في غاية ما فاضلة. الفضيلة الفكرية منها ما هو يقتدر به على جودة الاستنباط لما هو أنفع في غاية فاضلة مشتركة لأمم أو لأمة أو لمدينة، عند وارد مشترك، فلا فرق بين أن يقال انفع في غاية فاضلة وبين أن يقال انفع في غاية ما فاضلة، هو الأجمل في تلك الغاية.

أما الفضيلة الخلقية، فهي نتيجة للفضيلة النظرية ومستنبطة من الفضيلة الفكرية. الفضيلة النظرية إذن سابقة للفضيلة الخلقية، وأن الفضيلة النظرية هي التي صيرت الفضيلة الخلقية معقولة، بعد أن تميزها الفضيلة الفكرية، وتستنبط أعراضها التي تصير معقولاتها موجودة باقتران تلك الأعراض بها، فالفضيلة الفكرية إذن سابقة للفضائل الخلقية.

أما الفضائل العملية والصناعات العملية فأن أفعالها تكون بطريقتين: إحداهما بالأقاويل الإقناعية والأقاويل الإنفعالية وسائر الأقاويل التي تمكّن في النفس هذه الأفعال والملكات تمكينا تاماً، حتى يصير نهوض عزائمهم نحو أفعالها طوعاً. الطريق الثاني هو طريق الإكراه، وهذا يستعمل مع التمردين والعاصين من أهل المدن والأمم، الذين لا ينهضون طوعاً من تلقاء أنفسم.

يتبين لنا بوضوح، أن مدينة الفارابي الفاضلة، ليست فاضلة بسيرة أهلها وسلوكهم فحسب، بل أن الفارابي أرادها ان تكون فاضلة بآرائها. من هنا يظهر لنا بوضوح عنوان أهم كتاب سياسي للفارابي، الذي أطلق عليه اسم (آراء أهل المدينة الفاضلة) ولم يقصر عنوان الكتاب على (أهل المدينة الفاضلة) أو (المدينة الفاضلة).

الفارابي إذن لا يكتفي بأن يكون سكان المدينة الفاضلة افاضل بأفعالهم، بل ان الآراء الفكرية العالية التي تميز أهل المدينة الفاضلة هي التي تنحو بهم نحو مدارج الكمال، وهي التي تحقق لهم السعادة في الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

ومع هذا وذاك، فأن الفارابي ينصح الإنسان أن يتأمل احوال الناس وأعمالهم وتصرفاتهم، ما شهدها وما غاب عنه مما سمعه وتناهى إليه منها، وان يمعن النظر فيها، ويميز بين النافع والضار منها.

فيلسوفنا، إذن يريد أن يمزج مزجاً متناغماً بين الفكر والعمل، انه يطلب من أهل المدينة الفاضلة أن يتثقفوا بالمعارف والعلوم، حتى انه يطلب منهم ان يرتقوا إلى مصاف الفلاسفة، وأنه في الوقت نفسه، يريد منهم ان يكونوا عمليين، في مراقبة سيرة الناس العملية، ليقتدوا بالأعمال الحسنة ويتجنبوا الأفعال الضارة السيئة.

الفارابي إذن، في مدينته الفاضلة، ليس فيلسوفاً مثالياً محلقاً في قدسية الإلهيات وسبر غور الوجود، بل هو فيلسوف يهتم اهتماماً خاصاً بأحوال الناس، وارشادهم إلى الطريق القويم، من أجل الحصول على الخيرات وإدراك سبل السعادة.

من أقوال الفارابي التي لا بأس أن اقف عند مقولة من مقولاته متأملاً متفحصاً معلقاً. يقول الفارابي ((**حرم على الفاضل من الناس، المقام في السياسات الفاسدة، ووجبت عليه الهجرة إلى المدن الفاضلة**)).

يبدو لي أن الفارابي قال مقولته هذه،من تجربته الشخصية. الفارابي ولد في مدينة فاراب، ودرس وتعلم وكتب كتبه واشتهر امره في بغداد. أقام بقية حياته في حلب. زار القاهرة ثم توفي ودفن في مدينة دمشق.

لاشك أن الفارابي، وهو الذي توفي في أواسط النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (339هـ) قد عاصر تدهور وانحطاط وتفكك المدن الإسلامية انه عاش في زمن زوال قوة وازدهار الخلافة العربية.

الفارابي ربما كتب هذه المقولة، وهو يقصد بها سيرته الشخصية، حين لاحظ (السياسات الفاسدة في بغداد مركز الخلافة، قصد حلب، التي كان أمرها وحاكمها سيف الدولة الحمداني، الذي اشتهر أمره، في مقارعة الروم وانتصاره عليهم. ربما أن الفارابي قد عدّ سيف الدولة الحمداني، هو رئيس حقيقي للمدينة الفاضلة.

برايي، أنه ما كان للفارابي أن ينطق بهذه المقولة، التي تحث الناس على الهرب من اوطانهم. إذا صارت (السياسات فاسدة) في مدينة، فهل من الصواب في شيء أن يهجرها أهلها، ثم الانتقال إلى مدينة فاضلة.

أليس الأولى بالفارابي، الذي اشتهر كرئيس مدرسة فلسفية في بغداد، أن ينبه الناس علناً، على عوامل (السياسات الفاسدة) والعمل على إصلاحها بدلاً من الذهاب إلى مدينة أخرى (حلب) والانزواء في بستان لغرض التأمل والقراءة والكتابة.

لاشك ان الفارابي لا يفصل بين الأخلاق والسياسة كما أنه كان لا يفصل بين سعادة الفرد وسعادة المجتمع. الفارابي يعتقد أن الاخلاق تنبه إلى سبيل السعادة كما أن تحصيل السعادة، لا يتم للفرد إلا بالاجتماع مع الآخرين في مجتمع، سواء أكان هذا المجتمع مجتمع مدينة أم مجتمع أمة أم مجتمع الأمم.

ولابأس ان أقول هنا، أن الفارابي لم يكتف بتعريف مجتمع المدينة، وأسسه وطرق السعادة إليه، بل هو قد تجاوزه إلى مجتمع الأمة. لعل السبب في ذلك، أنه تأثر بالدولة الإسلامية، المترامية الأطراف. أنه عد الأمة في مرحلة أكبر من مجتمع المدينة، وهو لاشك يقصد هنا الأمة الإسلامية. أنه بعد ذلك يتعدى حدود مجتمع الأمة، إلى مجتمع الإنسانية كلها تحت حكم رئيس فاضل واحد.

لم ينظر ابو نصر إلى أهل المدينة أو الأمة، من وجهة نظر عرقية أو عنصرية، بل هو يعطي الأهمية الكبرى للقدرات العقلية. أنه يضع في قمة المجتمع، الفئة أو الجماعة القادرة على التعقل أو التخيل. بعد هذه الشريحة أو أدنى منها، يضع الجماعة التي تستطيع أن تتبع ما رسم لها وتحتذي به احتذاء عقلياً. أما الفئة التي يضعها الفارابي في المرتبة الدنيا، هي الجماعة التي تنقاد انقياداً لكل ما تتلقاه من أعلى. ان القدرة العقلية إذن هي المعول عليها في ترتيب أو تفاضل الناس في المدينة، لأن آراء أهل المدينة هي التي تميزهم عن بعضهم.

من هنا نجد أن الفارابي يضع الفلاسفة في قمة الهرم الاجتماعي. يأتي بعدهم المشرعون وحملة الدين، ثم يأتي بعد ذلك العامة، التي تتبع ما رسم لها. المهم هنا أن الفارابي، يضع ثلاث فئات ولا أقول طبقات. طبقة الحكام الذين هم الفلاسفة. أما الفئة الثانية، التي استطيع أن أقول أنها تمثل الطبقة الوسطى في المجتمع، التي تتكون من المتكلمين والبلغاء والماليين والمجاهدين، ثم طبقة العامة التي تمثل عامة الجمهور.

أرجو ألا نفهم، أن الفارابي يقسم المجتمع تقسيماً طبقياً جامداً. الفارابي بالحقيقة ينشد المساواة بحركة اجتماعية، أساسها القوة العقلية. أنه لا يفصل الجمهور عن الحياة العقلية، بل أنه يقول أنه ليس في فطرة كل إنسان أن يعلم من تلقاء نفسه، بل أنه يحتاج إلى معلم ومرشد. أنه إذن يدعو إلى انفتاح اجتماعي، لأن العلم غير موقوف على واحد، وأن الإنسان لا يعلم بالفطرة.

لاشك أن الدين الإسلامي يؤثر تأثيراً كبيراً في فكر الفارابي، وأن العقيدة لها دور في كتاباته السياسية والأخلاقية. أنه يرى أن الاجتماع ينبغي أن يتم حول راي واحد، وليس بالقهر والتغالب، وحدة العقيدة أساس مهم في الترابط الاجتماعي، العقيدة الواحدة إذن عنصر يتحكم في اجتماع الناس في المدينة وللعقيدة دور كبير في آراء أهل المدينة الفاضلة.

يبدو لي، ان سبب راي الفارابي والقول بأن وحدة الراي لها أثر بالغ في بناء المدينة، لأنه كان يلاحظ فساد الأحوال، في المدن التي عاش فيها أو التي تنقل إليها، ولاسيما بغداد عاصمة الخلافة، التي لم يبق لها اي أثر سياسي على الدولة الكبيرة، بسبب ما يراه من ضعف وتفكك. السبب الأهم الذي كان يراه الفارابي في سوء الأحوال، هو اختلاف الآراء وشدة الخلاف والفوضى السائدة في المجتمع الإسلامي.

الفارابي بعقيدة المسلم وفكر الفيلسوف، أراد أن يصلح المفاهيم المختلفة، ويجمع أهل المدينة حول آراء صائبة، في توحيد السلطة الدينية والسلطة الدنيوية. أنه كان يهدف إلى توحيد الآراء بين عقيدة الدين وفكر الفلسفة. أنه بكلمة اخرى، كان يريد أن يحكم المدينة، من يتحلى بمزيج من حكمة الفيلسوف ورسالة النبي.

لاشك أن الفارابي، كان يلاحظ مدى سوء الاحوال السياسية في الدولة الإسلامية. أنه كان يخطط لمجتمع عادل، ولكنه كان يدرك مدى الصعوبة بين الامنية والواقع. لهذا اعتقد أن الفلسفة قادرة أن تقضي على الجهل، لتنظيم مدينة فاضلة، يسودها العدل وتتحقق فيها السعادة.

لقد اجتهد الفارابي، لتحقيق هذا الهدف، أن تكون الفلسفة هي المنظمة لتحقيق مدينة فاضلة، على أن تحل فيها قدسية مدبر الكون. أنه بالحقيقة أراد أن يدمج تنظيم المدينة بتعاليم الدين. أنه أراد أن يوصل بين الدنيا (الفلسفة) والدين (النبوة) بعبارة أخرى، يريد الفارابي من اهل المدينة الفاضلة أن يتقربوا من الله، كونهم خلفاءه على الأرض. في الوقت نفسه، يريد أن يجمع رئيس المدينة الفاضلة، معرفة الفيلسوف وقدسية النبي، كي يحقق العدل والمساواة.

الفصل السادس

رئيس المدينة الفاضلة

لقد اهتم الفارابي اهتماماً كبيراً برئيس المدينة الفاضلة، حتى انه عدّه أكمل اجزاء المدينة كما أن العضو الرئيس في البدن يكون بالطبع أكمل أعضائه وأتمها، وله من كل ما يشارك فيه عضو آخر أفضله، ودونه ايضاً أعضاء اخرى رئيسة لما دونها، ورياستها دون رياسة الأولى، وهي تحت رياسة الأول، تراس وتراس، فأن رئيس المدينة الفاضلة ايضاً، دونه قوم مرؤوسون منه ويرأسون آخرين.

لاشك في أن ما ذهب إليه الفارابي هنا تمام الوضوح، إذا ما علمنا أن جسم الإنسان يتكون من عدة أجهزة، وكل جهاز يديره عضو، وأن هذا العضو في الوقت نفسه يدار من العقل أو القلب، الذي يدير اجهزة البدن، دون أن يرأسه عضو آخر. وهكذا الأمر في رئيس المدينة الذي يراس جميع الأجهزة فيها ولا يرأسه إنسان آخر، مع أن من هذه الأجهزة المدينة رؤساء آخرين دونهم في المرتبة الاجتماعية والسياسية.

الفارابي إذن يرى أن القلب يزيل كل خلل يحدث في اي عضو من أعضاء البدن، وأن رئيس المدينة، بوصفه العضو الرئيس في المدينة، فأن اختل اي جزء منها هو الموفد له ما يزيل عنه اختلاله، لاشك في أن الأعضاء التي تقرب من العضو الرئيس تقوم في الأفعال الطبيعية التي هي على حسب غرض الرئيس الأول بالطبع بما هو أشرف، أما ما دونها من الأعضاء، فيقوم بالأفعال بحسب طبيعته دون ذلك الشرف الأول، حتى ينتهي الأمر إلى الأعضاء التي تقوم من الأفعال ابسطها. الأجزاء ايضا كلما قربت مرتبتها من رئيس المدينة تفعل من الأفعال أشرفها، ومن دونهم يعمل دون ذلك الشرف، إلى أن ينتهي إلى الأجزاء التي تفعل من الأفعال أبسطها. ويفسر الفارابي ماذا يعني بالأفعال البسيطة (الخسيسة)، فيقول انها تلك الأعمال التي تكون سهلة جداً.

قد يعني الفارابي هنا، الأفعال التي لا تحتاج إلى جهد فكري ولا إلى حصيلة فنية، اي أنها الأعمال البسيطة التي لا تصعب على الرجل العادي.

رئيس المدينة مهم جداً بنظر الفارابي، حتى انه يرى أن على أجزاء المدينة ان تحتذي بأفعالها حذو مقصد رئيسها الأول على الترتيب، وذلك أن يشبه نسبة السبب الأول إلى سائر الموجودات كنسبة ملك المدينة الفاضلة إلى سائر أجزائها. أن الموجودات البريئة من المادة تقرب من الأول، ودونها الأجسام السماوية، ودون السماوية الأجسام الهيولانية. وكل هذه تحذو حذو السبب الاول وتأتم به وتقتفيه. أن ذلك يفعله كل موجود، بحسب قوته، وذلك أن الأبسط لايقتفي غرض ما هو فوقه قليلاً، وذلك يقتفي ما هو فوقه. وعلى هذا الترتيب تكون الموجودات كلها تقتفي غرض السبب الأول.

لاشك من ان اهتمام الفارابي برئيس المدينة يعود بسبب أنه عاش في بغداد، وسط مناظرات المتكلمين واهتماماتهم بالإمامة وتشعب فرقهم حول طاعة الإمام واختيار الإمام؟. هو الراس، وكما أن الجزء الرئيس في البدن هو بالطبع أكمل أعضائه وأتمها في نفسه، وفيما يخصه، وله من كل يشارك فيه عضو آخر، أفضلها، ودونه أيضا اعضاء اخر رئيسة لما دونها برئاستها، ودون رئاسة الأول، وهي تحت رئاسة الأول تروس وتراس كما ان رئيس المدينة هو اكمل اجزاء المدينة هو أكمل أجزاء المدينة فيما يخصه، وله في كل ما يشارك فيه قوم مرؤوسون ويراسون آخرين.

رئيس المدينة عند الفارابي هو الإمام، وهذا من دون شك تعبير إسلامي، ولاسيما أن الفارابي لا يجيز أن يراسه آخر، لأن الإمام عند المسلمين كالراس للجسم أو كالقلب، كما يعبرون عنه.

رئاسة المدينة الفاضلة، بنظر الفارابي، لا يمكن أن تكون لأي إنسان كيفما اتفق، لأن الرئاسة تكون بشيئين: احدهما أن يكون بالفطرة والطبع لا معداً لها، والثاني بالإرادة والتجربة والممارسة. وكما أن الرئيس الأول في جنس لا يمكن أن يراسه شيء من ذلك الجنس، مثل رئيس الأعضاء، فأنه هو الذي لا يمكن أن يكون عضو آخر رئيساً عليه، وكما هو حاصل في كل رئيس بالجملة.

الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ايضا، ينبغي أن تكون صناعة صناعة، لا يخدم بها أصلاً ولا يمكن فيها أن تراسها صباعة أخرى اصلاً، بل تكون صناعته صناعة نمو غرضها تؤم الصناعات كلها، وأياه يقصد بجميع أفعال المدينة الفاضلة. أن ذلك الإنسان لا يراسه إنسان أصلاً، بل يكون ذلك الإنسان إنساناً قد استكمل فصار عقلاً ومعقولاً بالفعل. أن قوته المتخيلة قد استكملت بالطبع غاية الكمال، وأن عقله المنفعل قد استكمل المعقولات كلها، حتى لا يكون يخفى عليه منها شيء، وصار عقلاً بالفعل، وأن أي إنسان استكمل عقله المنفعل بالمعقولات كلها، وصار عقلاً بالفعل ومعقولاً بالفعل، وصار المعقول منه هو الذي يعقل. يحصل له حينئذ عقل ما بالفعل، ورتبه فوق العقل المنفعل، أتم وأشد مفارقة للمادة، ومقاربة من العقل الفعال، ويسمى العقل المستفاد: أنه يصير متوسطاً بين العقل المنفعل والعقل الفعال، ولايكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر. أما الإنسان الذي يحل فيه العقل الفعال، وإذا حصل ذلك في كلا جزاي قوته الناطقة وهما النظرية والعملية، ثم في قوته المتخيلة، كان هذا الإنسان هو الذي يوحي إليه بتوسط العقل الفعال، فيكون بما يفيض إلى العقل المنفعل حكيماً فيلسوفاً، وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة، يكون نبياً منذراً ، أن هذا الإنسان هو أكمل مراتب الإنسانية وفي أعلى درجات السعادة، وتكون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعال. يكون له قدرة على جودة التخيل بالقول لكل ما يعمله، وقدرة على جودة الإرشاد إلى السعادة وإلى الأعمال التي بها تبلغ السعادة، وأن يكون له مع ذلك جودة ثبات ببدنه لمباشرة أعمال الجزئيات.

الرئيس إذن لا يراسه إنسان آخر أصلاً. أنه رئيس المدينة الفاضلة، ويعني الفارابي هنا بالمدينة الواحدة (دولة المدينة) كما أنه رئيس الأمة الإسلامية، لكن الفارابي فوق هذا وذاك، نراه يضرب ضربة عبقرية، عندما يضيف قائلاً: وهو رئيس المعمورة من الأرض كلها، وهكذا نرى أن الفارابي أول فيلسوف، في تاريخ الفكر الفلسفي، يتحدث عن رئيس واحد لسكان الأرض قاطبة، لاشك في أنه ذهب بثاقب

بصيرته إلى إمكانية قيام مجتمع فاضل واحد كبير، يضم ساكني المعمورة كلها، يدير شؤونهم رئيس واحد.

أما الخصال التي اشترطها الفارابي في رئيس المدينة الفاضلة، هي:

1. ان يكون تام الأعضاء، قواها مؤاتية أعضاءها على الأعمال التي شأنها ان تكون ها، ومتى اهتم بعضو ما من اعضائه عمل يكون به، اتي عليه بسهولة.
2. ان يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له، فيلقاه بفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب الأمر في نفسه.
3. أن يكون جيد الحفظ لما بفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه، وفي الجملة لا يكاد ينساه.
4. ان يكون جيد الفطنة ذكياً، إذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دل عليها الدليل.
5. ان يكون حسن العبارة، يؤاتيه لسانه على أبانة كل ما يضمره أبانة تامة.
6. ان يكون محباً للتعلم والإستفادة منقاداً له، سهل القبول، لا يؤلمه التعلم ولا يؤذيه الكد الذي ينال منه.
7. أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح، ومتجنباً اللعب بالطبع.
8. أن يكون محباً للصدق وأهله، مبغضاً للكذب وأهله.
9. أن يكون كبير النفس محباً للكرامة، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الامور، وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها.
10. ان يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده.
11. ان يكون بالطبع محباً لعدل واهله، ومبغضاً للجور والظلم وأهلهما، ويكون مؤاتيا لكل ما يراه حسناً وجميلاً،ثم ان يكون عدلاً غير صعب القياد، ولا جموحاً ولا لجوجاً، إذا دعي إلى العدل، بل يكون صعب القياد إذا دعي إلى الجور وإلى القبيح.

12. ان يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى انه ينبغي أن يفعل، جسوراً عليه مقداماً غير خائف ولاضعيف النفس.

نلاحظ أن الفارابي وهو يضع الخصال التي يشترطها في رئيس المدينة الفاضلة، تكاد تكون اغلبها فكرية. لاشك في أنه يريد ان يكون رئيس المدينة تام الأعضاء، وهذا شيء طبيعي، إذ ليس من المعقول أن يكون رئيس مدينة فاضلة وهو مصاب بعاهة كبيرة في احد أعضائه، تمنعه من ممارسة القيام بواجبه. الشروط الباقية إذن تهم العقل، فرئيس المدينة الفاضلة يجب أن يكون جيد الفهم وعنده تصور لما يجري حوله، وسريع الحفظ والإدراك. كما نرى أن على رئيس المدينة الفاضلة أن يكون حسن العبارة وهذا دليل على فطنته وسعة معرفته ومع هذا يبقى دائم المحبة، للتعلم ليقوده إلى الكمال. وأن يبتعد عن الشره، ليكون في حياته معتدلاً، زاهداً في المال، وفي الوقت نفسه يكون قوي العزيمة على الحق، محباً للعدل مبغضاً للظلم.

الفارابي يوجب الدقة باختيار الحاكم، فليس كل إنسان يمكن ان يكون رئيساً للمدينة الفاضلة، التي يريدها الفارابي، لابد أن يكون الرجل الحاكم كاملاً على المستويين العقلي والجسمي، إذا كانت الحاجات الاجتماعية والأوضاع السياسية تدعو إلى وجود الحاكم، فأن الفارابي يذهب إلى أكثر من ذلك، ليقول أن على الحاكم الحقيقي أن يكون ذا عقل كلي، يدرك المثل والكمالات، أنه إذن يريد ان يكون الحاكم مثالاً للرجل الكامل، الذي تتمثل فيه الصفات المثالية التي تخلو من كل انفعال وكل طمع في شهوات ومغريات الحياة. ان هم الحاكم الاول هو مطالب الملة العامة، فينظر إلى كل ما هو عام وضروري. الفارابي باختصار يريد من رئيس المدينة ان يكون فيلسوفاً، لأن صلاح المجتمع يكون –براي الفارابي- إذا ما تولى امور الملة أمام منزه من الهوى، وقادر على النظر في الأمور الإلهية، اي أن باستطاعته إلى الوصول الحقيقة الكاملة. ان

الفارابي باختصار يريد من حاكم المدينة أن يتمثل فيه حب الحكمة وحفظ الشريعة وحسن الاستنباط وجودة الفهم والإرشاد. أن الحكمة إذن شرط أساس ينبغي أن يتمتع بها حاكم المدينة، لأن الحاكم الذي يفتقر إلى الحكمة، يكون على يديه هلاك المدينة.

لعل أهم ما يميز المدن الفاضلة عند الفارابي، هو الرئاسة الحكيمة. أن المدينة الفاضلة تحتاج إلى تدبير وتنظيم، وإلى حكيم يوجه الناس إلى الطريق الصواب. أن ذلك يتأتى برئاسة تمكن الأفعال والملكات في المدينة أو في الأمة، وتجتهد في أن تحفظها عليهم حتى لا تزول عنهم ولا تبيد. أن قيام الجماعة عند الفارابي منوط بوجود قائد، وأن المدينة الفاضلة منوط قيامها بوجود حاكم حكيم.

أن الرئاسة إذن حاجة ضرورية، وأن السياسة علم، لأن رئيس المدينة قد عرف الفلسفة ومارس الحكمة، وأنه وحده القادر على إسعاد الناس. أن الفلسفة سبيل قوي لإصلاح الملك، مع ذلك فأن الفارابي لا يريد من الحاكم الفيلسوف أن يقتصر على معرفة الفلسفة النظرية فحسب، بل عليه أن يكون عملياً في معاملة الرعية، وله القدرة على اقناعهم على سلوك الدرب الصواب.

لاشك أن الذي يهم الفارابي، هو إصلاح الملة الإسلامية، ولاسيما إصلاح ملكها المتمثل بالخلافة، ليتحقق ازدهار الدولة الإسلامية. الفارابي باختصار يريد من حاكم المدينة الفاضلة أن يكون قريباً من الله، ليكون على بينة من أمره ومن اصلاح رعيته. يقول الفارابي في كتاب آراء المدينة الفاضلة (ولا يمنع أن يكون الإنسان إذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال، فيقبل في يقظته عن العقل الفعال، الجزيئات الحاضرة والمستقبلية أو محاكياتها من المحسوسات، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية).

أن النبي برأي الفارابي يمتاز عن الفيلسوف من حيث أن له رسالة يمكنه من أن يبلغها إلى الناس في كل مكان. أن النبوة براي الفارابي تبنى على فكرة أن الإنسان مختار من لدن الله بوحيه، وبالرغم من تفوقه بذكائه وفضيلته، ويجب أن يكون من الطبيعة نفسها ومن النوع عينه بالقياس إلى الآخرين. أن مهمة النبي إذن لا تقتصر على تلقي الوحي، بل عليه أن يكون رئيس المدينة ومدبرها. أن تهذيب العامة وإرشادهم لا يتم عن طريق الفلسفة بل عن طريق النبي، فهو يقول **(أن المدينة لا تصل إلى كمالها إلا عن طريق النبي والوحي، وذلك بفضل رسالة إلهية موجهة إليهم)**.

الفارابي يشترط توفر الحكمة لأية رئاسة، فهو يقول في كتاب تحصيل السعادة: **(أن معنى الفيلسوف والرئيس الأول والملك والإمام، معنى كله واحد، وأية لفظة ما أخذت من هذه الألفاظ ثم أخذت ما يدل عليه كل واحد منها عند جمهور أهل لغتنا وجدتها كلها تجتمع في آخر الأمر في الدلالة على معنى واحد بعينه)**. وفي كتابه المدينة الفاضلة يقول: **(أن لم تكن الحكمة جزءاً من الرئاسة، وكانت فيها سائر الشرائط، بقيت المدينة الفاضلة بلا ملك، وكان الرئيس القائم بأمر هذه المدينة ليس بملك، وكانت المدينة تعرض للهلاك)**. وفي كتاب الملة يقول: **(أنها لا تكون رئاسة فاضلة، بل تكون رئاسة جاهلية وسياسة جاهلية ومهنة جاهلية، بل لا يسمى ملكاً، لأن الملك عند القدماء ما كان بمهنة ملكية فاضلة)**.

أن رئيس المدينة الحق، بنظر الفارابي، هو **(واضع النواميس، الذي له قدرة على أن يستخرج بجودة فكرته شرائطها، التي بها تصير موجودة بالفعل وجوداً، تنال به السعادة القصوى)** الفارابي إذن يحاول التوفيق بين النبي والفيلسوف، وذلك يرى أن يكون رئيس المدينة قادراً على التخيل والعمل، وهكذا يرى أن الفلسفة والشريعة هدفهما واحد، من حيث إدراك الخالق، والتشبه بالله، ليرقى بنفسه، ثم أن يعمل على ترقية الآخرين في الدولة والمدينة، اي كما أن الله يدبر العالم، فأن الرئيس الفاضل يدبر شؤون المدينة الفاضلة.

يشير ابو نصر بعد ذلك، إلى ان اجتماع هذه الصفات كلها في إنسان واحد أمر صعب إلا قليلاً، وفي الواحد بعد الواحد. إذا اتفق أن لا يوجد مثل هذا الرئيس في وقت من الأوقات فلا بأس ان تؤخذ الشرائع والسنن التي شرعها هذا الرئيس الأول، اما الرئيس الذي يخلفه والذي سماه الفارابي: الرئيس الثاني، فيجب أن تجتمع فيه ست شرائط:

1. ان يكون حكيماً.
2. ان يكون عالماً حافظاً للشرائع والسنن والسير التي دبرها الأولون للمدينة، محتذياً بأفعاله كلها حذو تلك بتمامها.
3. ان يكون له جودة إستنباط فيما يحفظ عن السلف. ويكون فيما يستنبطه من ذلك محتذياً حذو الأئمة الأولين.
4. ان يكون له جودة روية فيما يستجد من الأمور والحوادث، وأن يكون متحرياً بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة.
5. ان يكون له جودة ارشاد بالقول إلى شرائع الأولين، وإلى التي استنبط بعدهم، مما احتذى فيه حذوهم.
6. ان يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة الحرب.

لاشك أن أبا نصر يقصد بالرئيس الثاني، الرئيس الذي يأتي بعد النبي، أو الذي يباشر إدارة المدينة بعد الملك الفيلسوف. وهكذا نرى أن الفارابي يدرك صعوبة وجود إنسان واحد يتصف بالصفات السابقة، فهو يقول بعد ذلك، إذا لا يوجد إنسان واحد اجتمعت فيه هذه الشرائط، ولكن إن وجد إثنان أحدهما حكيم، والثاني فيه الشرائط الباقية، كانا رئيسين في هذه المدينة.

يذهب الفارابي إلى أكثر من ذلك في نظرته إلى ديمقراطية الحكم، أو إلى وجود الخصال التي يريدها ان تتمثل في رؤساء المدينة، ولاسيما صفة الحكمة، فأنه يقول إذا

تفرقت هذه الخصال في جماعة من الناس كانوا هم الرؤساء على شرط أن توجد الحكمة في أحدهم. الذي يهم الفارابي إذن أن تكون الرئاسة صفة الحكمة والفلسفة وقوة العقل، وتكون باقي الخصال موزعة كل خصله في أحد منهم، شريطة ان يكونوا عند ذاك الرؤساء الأفاضل للمدينة الفاضلة. أما إذا خلت الرئاسة من الحكمة فأن المدينة تتعرض للهلاك.

نلاحظ أن الفارابي يمزج بين الدين والفلسفة في معالجته مسألة رئيس المدينة الفاضلة، فهو من ناحية يرى وجوب أن يكون رئيس المدينة حكيماً فيلسوفاً. من ناحية ثانية يرى ابو نصر، أن الإمام هو الرأس في المجتمع. لاشك أن رأي الفارابي هذا متأثر بالمتكلمين ومناظراتهم حول الإمامة وحول طاعة الإمام واختياره. إضافة إلى أنه كان يعيش في دولة إسلامية تؤمن بالخلافة، التي اعقبت موجد القوانين الأول، وهو النبي (**صلى الله عليه وسلم**).

الفارابي لا ينسى أن يشير إلى أهداف الملك للمدينة، فيقول أن غرض الملك ومقصوده هو أن يدبر المدن، وأن يحقق السعادة لنفسه ولأهل مدينته، لأن هذه هي الغاية والغرض من المهنة الملكية، يذهب ابو نصر إلى أكثر من هذا، فيقول أن من الضروري أن يكون الملك أكمل سعادة، حتى يكون السبب في إسعاد أهل المدينة الفاضلة.

يلاحظ الفارابي، أن هناك من يرى أن الغاية المقصودة بالملك وتدبير المدن، هي الجلالة والكرامة والغلبة ونفاذ الأمر والنهي، وأن يطاعوا ويعظموا ويمجدوا، ويجعلوا سنن المدينة سنناً يصلون بها إلى هذا الغرض، بعضهم يصل إلى ذلك بان يستعمل مع أهل المدينة ويحسن إليهم، ويوصلهم إلى الخيرات، ويحفظهما عليهم، ويؤثرهم بها دونه، فينال بذلك الكرامة العظيمة.

أن هؤلاء من رؤساء الكرامة أفضل رؤساء، وآخرون يرون أنهم يستحقون الكرامة باليسار، فيحاولون أن يكونوا ايسر أهل المدينة ليفوزوا باليسار والكرامة،

وبعضهم يرى أن يكرم بالحسب فقط، وآخرون يفعلون ذلك بقهر أهل المدينة وغلبتهم وإذلالهم وترهيبهم، وآخرون يرون أن الغرض من تدبير المدن هو الوصول إلى البسار، حتى أنهم يسنون السنن التي يصلون بها إلى اليسار.

نلاحظ أن الفارابي، يفرق بين الرئيس الذي يؤثر اليسار ليكرم عليه، وبين من يؤثر الكرامة وأن يطاع ليثرى. كما أن من الرؤساء من يرى أن الغاية من تدبير المدن هي التمتع باللذات، وهناك آخرون يرون جمع هذه الثلاث، وهي الكرامة واليسار واللذات.

وهؤلاء لا يصح أن يسمى أحدهم ملكاً. أن الملك هو ملك بالمهنة الملكية، وبصناعة تدبير المدن، وبالقدرة على استعمال الصناعة الملكية، سواء اشتهر بصناعته أم لم يشتهر بها، وجد قوماً يطيعونه أو لا يطيعونه، يضرب الفارابي مثلاً بالطبيب، فهو طبيب بمهنته، وقدرته على ممارسة المهنة الطبية، سواء أصادف مرضى يقبلون قوله ويطبقونه أم لا، فهذا لا ينقص من طبه شيئاً، الملك ايضا هو ملك بالقدرة على استعمال الصناعة، أكرم أم لم يكرم، موسراً كان فقيراً، عندما يشير بعضهم إلى أن من صفحات الملك، التسلط بالقهر و الإذلال والترهيب والتخويف، نرى الفارابي يرد قائلاً: أن هذه ليست من شرائط الملك.

يطلب الفارابي من الرئيس الأول، أن يتصل بالعقل الفعال، كما جاء في كتابه (السياسة المدنية) فهو يقول: أن الرئيس الأول على الاطلاق، هو الذي لا يحتاج ولا في شيء أصلاً أن يرأسه إنسان، بل يكون قد حصلت له العلوم والمعارف بالفعل، ولا تكون له به حاجة في شيء إلى إنسان يرشده. أن له قدرة على جودة الإرشاد لكل من سواه إلى كل ما يعلمه، كما أن له قدرة على استعمال كل من سبيله أن يعمل شيئاً ما في ذلك العمل، الذي هو معد نحوه، وقدرة على تقدير الأعمال وتحديدها وتسديدها نحو السعادة. أن ذلك يكون في أهل الطبائع العظيمة الفائقة إذا اتصلت نفسه بالعقل الفعال.

ان هذا الإنسان، بنظر الفارابي، هو الملك في الحقيقة، وهو الذي ينبغي أن يقال فيه انه يوحي إليه. أن الإنسان يوحى إليه، إذا بلغ هذه الرتبة، وذلك إذا لم يبق بينه وبين العقل الفعال واسطة. أن رئاسة هذا الإنسان هي الرئاسة الأولى، وان سائر الرئاسات الإنسانية متأخرة عن هذه وكائنة عنها. أن الناس الذين يدبر امرهم هذا الرئيس، هم الناس الفاضلون والأخيار والسعداء. إذا كانوا امة فهم امة فاضلة، وإذا كانوا مجتمعين في تجمع واحد كانوا مدينة فاضلة.

أن مثل هؤلاء إذا كانوا جماعة في مدينة واحدة او أمة واحدة او في أمم كثيرة، فأن جماعتهم جميعاً تكون كملك واحد، وذلك لاتفاق هممهم وأغراضهم وإراداتهم وسيرهم. وإذا تولوا في الأزمان واحداً بعد آخر، فأن نفوسهم تكون كنفس واحدة، ويكون الثاني على سيرة الأول، ومن يأتي بعده، يكون على سيرة الماضين.

أن سكان المدينة يتفاضلون في الرئاسة والخدمة بحسب فطر أهلها والآداب التي تأدبوا بها. أن الرئيس الأول هو الذي يرتب الطوائف، وكل إنسان من كل طائفة في المرتبة بحسب ما يستحقه. أن ذلك يكون ترتيب رئاسات، تنزل بحسب الاستحقاق، عن الرتبة العليا قليلاً قليلاً، إلى أن تصير إلى مراتب الخدمة، التي ليست فيها رئاسة ولا دونها مرتبة اخرى. أن الرئيس حين يرتب هذه المراتب في المدينة او الأمة، كي تكون المدينة مرتبطة الأجزاء بعضها ببعض، ومؤتلفة مع بعضها، وذلك بتقديم بعض وتأخير بعض.

أن الرئيس الذي هو مدبر المدن، أن واجبه أن يدبر المدن تدبيراً ترتبط به أجزاء المدينة بعضها ببعض، وتأتلف وترتب ترتيباً، يتعاون به الجميع على إزالة الشرور وهدفهم من وراء ذلك تحصيل الخيرات. أن الهدف الرئيس هو إبعاد كل ما هو ضار، والاجتهاد في أن يصير نافعا، وهكذا يكون العمل على إبطال الشر وايجاد الخير، أن الواجب العام هو الأفعال المحمودة، كي ينال المجتمع السعادة. فعلى الرئيس الا يقتصر في تعليم الأفعال الحسنة، بل أن يعمل بها، ويأخذ أهل المدينة بفعلها.

يـرى الفـارابي أن هنـاك مـن يـستطيع أن يـراس ويرشـد، وهـو الـرئيس الأول، ومنهم من يستطيع أن يرشد إذا راسه آخـر، وهـذا هـو الـرئيس الثـاني، ومـنهم مـن لا يستطيع أن يـراس ولا يرشد، وهؤلاء هم العامة، الذين على الرؤساء إرشادهم والأخـذ بأيديهم إلى الطريق الواب. الرئيس الأول لا يحتاج أن يراسه أحد. والرئيس الثـاني هـو الذي يراسه إنسان ويراس إنسانا آخـر أو إناسـا آخـرين. أن مثـل هـذه الرئاسـات ليـست مقصورة على السياسة وتدبير المدن. بل هي موجودة في كثير من الأعمال والـصناعات مثل الزراعة والتجارة.

أما الرئاسات الجاهلية – كما يراها أبو نصر – فهي في العادة تكون علـى المـدن الجاهلية. أن كل رئاسة جاهلية أما تكون القصد بها، وأما الـتمكن مـن الـضروري، وأمـا اليسار، وأما التمتع باللذات، وأما المنزلة والمديح وأما الغلبة. لذلك فـأن هـذه الرئاسـات قد تشرى بالمـال، وخاصـة الرئاسـات التي تكون في المدينـة الجماعيـة، لأن لـيس لأحـد هناك أولى بالرئاسة من أحد. أن الـرئيس عنـد مثـل هـؤلاء، هـو الـذي يـتمكن مـن ان ينيلهم شهواتهم وأهواءهم على اختلافها. أما الـرئيس الفاضـل، فـأنهم لا يرضـون بـه، فإذا اتفق أن يراسهم، فهو أما مخلوع أو مقتول أو مضطرب الرئاسة منازع فيها.

ويضيف الفارابي في كتاب (الملة) قائلاً، أن الـرئيس الأول قـد يلحقـه ويعـرض له أن لا يقدر الأفعال كلها ويستوفيها، فيقدر اكثرها، وقد يلحقه في بعـض مـا قـدره أن لا يـستوفي شـرائطها كلـها، بـل يمكـن أن تبقـى افعـال كـثيرة ممـا سـبيلها ان تقـدر فـلا يقدرها لأسباب تعرض: أما لأن المدينـة تخترمـه وتعالجه قبـل أن يـأتي علـى جميعهـا، وأما الأشغال ضرورية تعوقـه مـن حـروب وغيرهـا، وأمـا لأنـه لا يقـدر الأفعـال إلا عنـد حدوث حادث، وعارض عارض، مما شاهده أو مما يـسأل عنـه، فيقـدر حينئـذ ويـشرع ويسن ما ينبغي أن يعمل في ذاك النوع من الحوادث.

ويذهب الفارابي بعـد هـذا إلى القـول: فـإذا خلفـه بعـد وفاتـه مـن هـو مثلـه في جميع الأحوال كان الذي يخلفه هو الذي يقدر ما لم يقدره الأول، وليس هذا فقط، بـل

له ايضا أن يغير كثيراً مما شرعه الأول، فيقدره غير ذلك التقدير إذا علم ان ذلك هو الأصلح في زمانه. أما إذا مضى واحد من هؤلاء الأئمة الأبرار، الذين هم الملوك في الحقيقة، ولم يخلفه من هو مثله في جميع الأحوال، احتيج في كل ما يعمل في المدن التي تحت رئاسة من تقدم إلى أن يحذو في التقدير حذو من تقدم ولا يخالف ولايغير، بل يبقى كل ما قدره المتقدم على حاله، وينظر إلى كل ما يحتاج إلى تقدير مما لم يصرح به من تقدم، فيستنبط ويستخرج من الأشياء التي صرح الأول بتقديرها، فيضطر حينئذ إلى صناعة الفقه، وهي التي يقتدر الإنسان بها، على أن يستخرج ويستنبط صحة تقدير شيء بشيء، مما لم يصرح واضع الشريعة بتحديده عن الأشياء التي صرح فيها بالتقدير، وتصحيح ذلك بحسب غرض واضع الشريعة بالملة بأسرها، التي شرعها في الأمة، التي لهم شرعت.

يفسر الفارابي رأيه بقوله أن الرئاسة الفاضلة ضربان: رئاسة أولى ورئاسة تابعة للأولى هي التي تمكن في المدينة او الأمة، السير والملكات الفاضلة اولاً من غير أن تكون فيهم قبل ذلك وتنقلهم مع ذلك عن السير الجاهلية إلى السير الفاضلة. أن الذي يقوم بهذه الرئاسة هو الرئيس الأول، أما الرئاسة التابعة للأولى فهي التي تقتفي في أفعالها حذو الرئاسة الأولى. أن القائم بهذه الرئاسة يسمى رئيس السنة وملك السنة، ورئاسته هي الرئاسة السنية. والمهنية الملكية الفاضلة الأولى تلتئم بمعرفة جميع الأفعال التي بها يتأتى تمكين السير والملكات الفاضلة في المدن والأمم، وحفظها عليهم وحياطتها واحرازها عن أن يداخلها شيء من السير الجاهلية، فأن تلك كلها أمراض تعرض للمدن الفاضلة على مثال ما عليه مهنة الطب، فأنهم انما تلتئم بمعرفة جميع الأفعال التي تمكن الصحة في الإنسان وتحفظها عليه وتحوطها من أن يعرض لها شيء من الأمراض.

يذكر أبو نصر مزيداً رايه: أن الطبيب الكامل انما تتم له مهنته حتى يتأتى بها الأفعال الكائنة عن تلك المهنة بقوتين اثنتين: احداهما بالقدرة على معرفة

الكليات التي هي أجزاء صناعته غلى الإطلاق وباستيفائها، حتى لا يشذ عنه شيء ثم بالقوة التي تحدث له عن طول افعال صناعته في شخص فشخص، كذلك حال المنهة الملكية الأولى، فأنها تشمل اولا على اشياء كلية، وليس يجتزئ في أن يفعل افعالها تلك بأن يكون قد استوعب معرفة الأشياء الكلية وبقدرته عليها من غير ان يكون معه قوة أخرى استفادها عن طول التجربة والمشاهدة، يقدر بها على تقدير الأفعال في كميتها وكيفيتها وازمانها وسائر ما يمكن أن تقدر بها الأفعال.

يذكر الفارابي الرئيس الأول بواجب آخر، وهو أن عليه أن يحصى أصناف المهن الملكية، غير الفاضلة والرئاسات كم هي، ويعطي رسوم الأفعال التي تفعلها كل واحدة من تلك المهن الملكية حتى ينال بها غرضها من أهل المدن التي تحت رئاستها، عليه ايضا أن يبين أن تلك الأفعال والسير والملكات التي هي غير فاضلة، هي أمراض المدن الفاضلة، وسيرها وسياساتها أمراض المهنة الملكية الفاضلة، وأما الأفعال والسير والملكات التي في المدن غير الفاضلة، فهي أمراض المدن الفاضلة.

لا ينسى ابو نصر بعد هذا أن يوصي الرئيس الفاضل، بأن يحصى كم الأسباب والجهات اللتي تحيل الرئاسات الفاضلة وسير المدن الفاضلة إلى السير والملكات غير الفاضلة وكيف تكون استحصالاتها إلى غير الفاضلة، كما أن على الرئيس الفاضل أن يحصى ويعرف الأفعال التي بها تضبط المدن والسياسات الفاضلة حتى لا تفسد ولا تستحيل إلى غير الفاضلة، والأشياء التي بها يمكن إذا استحالت ومرضت أن ترد إلى صحتها.

أن المهنة الملكية الفاضلة الأولى لا يمكن أن تكون افعالها عنها على التمام إلا بمعرفة كليات هذه الصناعة، بأن تقرن إليها الفلسفة النظرية، وأن ينضاف إليها التعقل، وهو القوة الحاصلة عن التجربة الكائنة بطول مزاولة افعال الصناعة، في احاد المدن والأمم والجماعات، وتلك هي القدرة على جودة استنباط الشرائط، التي تقدر بها الأفعال والسير والملكات بحسب جماعة جماعة، أو مدينة مدينة، او أمة أمة، اما

بحسب وقت قصير أو بحسب وقت طويل محدود، أو بحسب الزمان ان امكن، وتقديرها ايضا بحسب حال حال يحدث، وعارض عارض يعرض في المدينة أو في الأمة او في الجمع، وأن هذه هي التي تلتئم بها مهنة الملكية، الفاضلة الأولى. وأما التابعة لها التي رئاستها سنية، فليس تحتاج إلى الفلسفة بالطبع، لاشك أن الأجود والأفضل في المدن والأمم الفاضلة، أن يكون ملوكها ورؤساؤها الذين يتوالون في الأزمان على شرائط الرئيس الأول. كما ينبغي أن يعمل، حتى يكون ملوكا الذين يتوالون على أحوال من افضيلة واحدة بأعيانها، وأي شرائط يتفقد في أولاد ملوك المدينة، حتى أن وجدت في واحد منهم، أمل فيه أن يصير ملكاً على مثل حال الرئيس الأول.

الفصل السابع

العـــدل

نبدأ برأي الفارابي بالاعتدال وذلك لما له من اثر على العدل. والاعتدال عنده على نحوين: اعتدال متوسط في نفسه واعتدال متوسط بالاضافة إلى غيره. المتوسط في نفسه مثل توسط الستة بين العشرة والأثنين، فأن زيادة العشرة على الستة مثل زيادة الستة على الأثنين، وهذا متوسط في نفسه بين طرفين، وكذلك كل عدد يشبه هذا. وهذا المتوسط لا يزيد ولا ينقص، فأن ما هو متوسط بين العشرة والأثنين لا يكون في وقت من الأوقات غير الستة. أما المتوسط بالاضافة يزيد وينقص في الأوقات المختلفة وبحسب اختلاف الأشياء التي لها يضاف مثل الغذاء المعتدل للصبي والمعتدل للرجل التام الكدود، فأنه يختلف بحسب اختلاف بدنيهما، وان المتوسط في احدهما غير المتوسط في الآخر في مقداره وعدده وفي غلظته ولطافته وثقله وخفته، وبالجملة في كميته وكيفيته.

ويعطي الفارابي مثلا في الادوية التي تعطي من حيث الكمية والكيفية حسب الأبدان التي تعالج وحسب قوتها وحسب حالة المريض وسنه.

ويظهر أن الفارابي يريد القول أن الوسط الرياضي ثابت بينما المتوسط في الأخلاق يحكم عليه بحسب الحالة الاجتماعية، ففي حالة الغضب ينظر إلى المعتدل فيه بحسب حال من يغضب عليه وبحسب الشيء الذي لأجله الغضب وبحسب الوقت والمكان الذي هو فيه. وهكذا قياس الحالات الأخرى مثل الضرب والعقوبات فأنها تقاس بالاضافة إلى الأشياء وبالنسبة للزمان والمكان. ويبقى الاعتدال عند الفارابي نسبياً، إذ كما ان المتوسط في الأغذية والأدوية يكون متوسطاً معتدلاً لأكثر الناس في أكثر الأزمان، وربما كان معتدلاً لطائفة دون طائفة في زمان ما، كذلك المتوسط والمعتدل في الأفعال قد يكون منها ما هو معتدل لجميع الناس أو اكثرهم في أكثر الزمان أو جميعه، وقد يكون منها ما هو معتدل لطائفة دون طائفة في زمان ما، ويكون ما هو معتدل لإنسان دون إنسان في وقت آخر.

ويحث ابو نصر على الحكم بالصواب على الأشياء، وعنده أن الذهن هو القادر على مصادفة صواب الحكم فيما يتنازع فيه من الآراء وله القوة على تصحيحه، فللذهن جودة استنباط لما هو صحيح من الآراء. أن جودة الرأي هو أن يكون الإنسان جيد الرأي، وذلك بأن يكون فاضلاً خيراً في افعاله، وإذا جربها الآخرون وجدوها سديدة مستقيمة تنتهي بهم إذا استعملوها إلى عواقب حميدة. وبالرغم من أن الفارابي يصف ذا الرأي الجيد بأنه فاضل ويتصف بالعقل، إلا أنه مع هذا يعطي للتجربة ولرأي الأغلبية أهمية كبرى بالنسبة للآراء والمشورات، فأنه يطلب من صاحب الرأي أن يستنبط آراءه من أصلين مهمين: أولهما الأشياء المشهورة المأخوذة عن الجميع او عن الأغلبية، والثاني الأشياء الحاصلة له بالتجارب والمشاهدة.

العدل مهم عند الفارابي حتى أنه يقرر أن أجزاء المدينة تأتلف وتتماسك وتبقى محفوظة بالعدل وأفاعيل العدل. والمحبة قد تكون بالطبع مثل محبة الوالدين للولد، وتكون بالإرادة وذلك بأن يكون مبدأها أشياء إرادية تتبعها المحبة. وأن المحبة التي بالإرادة ثلاثة أنواع: محبة بالاشتراك في الفضيلة ومحبة لأجل المنفعة ومحبة لأجل اللذة. وأن العدل تابع للمحبة، وأن المحبة في المدينة تكون لأجل الإشتراك في الفضيلة. ويلتئم ذلك بالاشتراك في الآراء والأفعال. والآراء تكون في مبدأ وفي المنتهى وفيما بينهما. واتفاق الرأي في المبدأ هو اتفاق آرائهم في الله تعالى وكيف ابتدأ العالم وأجزاؤه، وكيف ابتدأ كون الإنسان، وهذا هو المبدأ. والمنتهى هو السعادة. اما الذي بينهما فهي الأفعال التي بها تنال السعادة. فإذا اتفقت آراء أهل المدينة في هذه الأشياء ثم كمال ذلك بالأفعال، تبع ذلك محبة بعضهم لبعض ضرورة، ولأنهم متجاورون في سكن واحد وبعضهم محتاج إلى بعض وبعضهم نافع لبعض، تبع ذلك ايضاً المحبة التي تكون لأجل المنفعة، ثم من اجل اشتراكهم في الفضائل ولأن بعضهم نافع لبعض يلتذ بعضهم ببعض، فيتبع ذلك ايضا المحبة التي تكون لأجل اللذة، وبهذا يأتلفون ويرتبطون.

ونلاحظ أن أبا نصر يعطي أهمية أولى للعدل في توزيع الخيرات على أهل المدينة مما يستحقه كل فرد من أبناء المدينة. أنه يقول: العدل أولاً يكون في قسمة الخيرات المشتركة التي لأهل المدينة على جميعهم. ويقصد بالخيرات هنا الأموال والمراتب والمنزلة الاجتماعية والسلامة وكل ما يمكن أن يشتركوا حسب استحقاقه. فإذا أخذ أقل مما يستحق لذلك جور، وإذا أخذ أكثر مما يستحق ذلك جور ايضا. في حالة النقص يقع الحور عليه، وفي أخذه الزيادة فالجور يقع على المدينة. كذلك فأن النقص الذي يقع على الفرد ربما يكون فيه جور على أهل المدينة. فإذا قسمت الخيرات على الأفراد فينبغي أن يحفظ كل واحد حقه، وأن لا يخرج من يده شيء، وإذا خرج بشرائط إلا يلحقه من ذلك ضرر، لا له ولا للمدينة، أن ما يخرج عن يد الإنسان من حقه من الخيرات يكون بالإرادة كالهبة والقرض، وبلا إرادة كالسرقة والغصب. وينبغي أن يعود ما خرج عن يده سواء بالإرادة أو بغير الإرادة، يعود إليه شخصياً أو يعود على المدينة، لأن العدل أن تبقى الخيرات المقسومة محفوظة على أهل المدينة. وأن الجور هو أن يخرج عن يده قسطه من الخيرات من غير أن يعود المساوى له، لا عليه ولا على أهل المدينة. والذي يعود على المرء يجب أن يكون نافعاً للمدينة أو بالأقل غير ضار لها. وكذلك الذي يخرج عن يده أو يد غيره قسطه من الخيرات، ويكون ذلك ضار بالمدينة، ويكون فعل هذا جائراً ويجب أن يمنع منه. ويجب أن نقدر من شأن الشرور والعقوبات، فإذا نيل الفاعل للشر بقسط من الشر كان عدلاً، وإذا زيد عليه كان جوراً عليه في خاصة نفسه، وإذا نقص كان جوراً على أهل المدينة، وربما يكون في الزيادة عليه جور على أهل المدينة.

يستعرض فيلسوفنا وجهات نظر مختلفة لرؤساء المدن وهم يقيّمون مشكلة العدل والظلم في مدنهم، فبعضهم يرى في كل جور يقع في المدينةفأنه جور على أهل المدينة، وبعضهم يرى أن الجور يخص الذي وقع عليه فقط. وأن بعض مدبري المدن يقسم الجور إلى صنفين: صنف هو جور يخص واحداً واحداً، ومع هذا فهو جور على

اهل المدينة، وصنف يجعله جوراً يخصه ولا يتعداه إلى المدينة، وأن بعض مدبري المدن لا يرون أن يعفى الجاني حتى ولو ان الجاني إذا عفى عنه الذي وقع عليه الظلم، وبعضهم يرى أن يعفى عن البعض إذا كان الشر وقع على المجني عليه، ولا يعفى عنه إذا وقع الشر على بعض أهل المدينة أو كلهم.

والعدل يقال على نوع أهم، وهو استعمال الإنسان افعال الفضيلة فيما بينه وبين غيره، فالعدل الذي في القسمة والذي في حفظ ما قسم هو نوع من العدل الأهم.

ويذكر ابو نصر عدة نظريات في العدل، وكلها تضاد آراء أهل المدينة الفاضلة، فيذكر أولاً نظرية العدل القائم على القوة، فأنه يشير إلى أن التمايز بين الأشخاص أو القبائل أو المدن أو الأمم يؤدي إلى التطاحن والتغالب والأشياء التي يكون عليها التغالب هي السلامة والكرامة واليساروالللذات وكل ما يوصل به إلى هذه، وأن الطائفة التي تسلب جميع ما للآخرين هي الفائزة وهي المغبوطة وهي السعيدة، وهذه الأشياء هي التي في الطبع عليه طبائع الموجودات الطبيعية، فما هو في الطبع هو العدل. فالعدل إذن التغالب، والعدل هو أن يقهر ما اتفق منها، والمقهور اما أن يغلب على بدنه فيهلك ويبقى القاهر، وأم المقهور على كرامته فيبقى ذليلاً مستعبدأمن قبل القاهر، وأن استعباد القاهر للمقهور في هذه الحالة ايضا عدل. وأن يفعل المقهور ما هو الأنفع للقاهر هو ايضا عدل، وهذه كلها هو العدل الطبيعي. ولاشك أن الفارابي قد سبق نيتشه في هذا الرأي.

أما العدل القائم على المنفعة، فيكون في البيع والشراء ورد الودائع، فإذا كانت طائفتان مساوية الواحدة للآخرى، وكانتا تتداولان القهر، فيطول ذلك بينهما، ويذوق كل منهما الأمرين، فحينئذ يجتمع أبناء الطائفتين ويتناصفان ويترك كل واحد منهما للآخر قسطاً مما كانا يتغالبان عليه ويصطلحان بشرط أن لا يروم أحدهما أن ينزع ما بيد الآخر، وينبغي أن يتشاركا ماداما في حالتهما الأولى من توازن

القوة بينهما، ولكن متى قوى أحدهما على الآخر فينبغي أن ينقض الشريطة ويروم القهر.

والعدل القائم على الخوف، ولذلك إذا كان إثنان وقد ورد عليهما من خارج شيء لا سبيل إلى دفعه إلا بالمشاركة على التغالب، عند ذاك يتشاركان في دفع هذا الوارد، أو أن يكون لكل منهما رغبة في شيء يريد أن يغلب عليه ولكنه يرى انه لا يستطيع وصول ذلك الشيء إلا بمعاونة الآخر له وبمشاركته له فيتشاركان في التغالب بينهما إلى وقت معين ثم يتعاندان، فإذا وقع التكافؤ من الفرق بهذه الأسباب، وتمادى الزمان على ذلك، ونشأ على ذلك من لم يدر كيف كان أول ذلك، حسب أن العدل هو هذا الموجود الآن، ولا يدري انه خوف وضعف.

كذلك يلتفت أبو نصر إلى مشكلة توزيع الأموال التي يعتبرها عدة المدينة التي تعد لأصحاب بعض أعمال من الذين ليس من شأنهم أن يكسبوا مالاً، مثل رجال الدين والكتاب والاطباء وذويهم، وان مثل هؤلاء يحتاجون إلى المال، أو إذا شئنا التعبير بعبارة معاصرة نقول أن الفارابي يريد تخصيص رواتب معينة لهؤلاء الذين يشتغلون في خدمة الدولة، وهم رجال الدين الذين يمثلون الجانب الروحي في المدينة، والاطباء الذين يمثلون الجانب العلمي والعملي، وكذلك الكتاب الذين يمثلون سائر الموظفين الذين يسيرون عجلة الدولة، فهم الجهاز الإداري الذي يعتمد عليهم الرئيس في تدبير شؤون المدينة. وبما أن هذه الأصناف لا تستطيع اكتساب الأموال إذ أنها مشغولة في اداء واجباتها في أجهزة الدولة، وهناك آخرون ممن يستطيعون أن يكسبوا الاموال، كان واجب مدبر المدينة أن ينظر من اين ينبغي أن يؤخذ الاموال، وعلى أي الجهات توزع.

ويرى الفيلسوف انه ليس من العدالة ان يترك شخص مالاً فلا يأخذه بينما هو يحاول أن يحرص على الربح زيادة عظيمة ليعتاض عما يتركه، فكأنه يرى ان الأموال كلها له، ما عنده وما عند غيره من جميع الناس، ولكن يتركها عليهم إذا قدر

وتمكن من غصبهم عليها ليصير له أضعافاً من الأصل،وذلك مثل ما يفعله المرابي، فليس يقتني العدالة والعفة على أنها خير لذاتها ولا يترك ما يتركه من فعل الشر والنقائض لذاته لأنه قبيح بنفسه، وانما ليحصل على أكبر قدر ممكن من الربح.

يؤمن الفارابي بالتخصص في العمل لأبناء المدينة الفاضلة انه يرى أن كل واحد من سكان المدينة ينبغي أن يوكل إليه عمل واحد لا يتعداه، سواء أكان هذا العمل عمل رئاسة أو عمل خدمة في جهاز المدينة، أو عمل صناعة من الصناعات التي يحتاجها أبناء المدينة. أن أبا نصر لا يوافق ان يزاول اي من أبناء المدينة الفاضلة اكثر من عمل واحد وذلك لأسباب ثلاثة يراها مهمة جداً لطبيعة الإنسان، ولطبيعة المجتمع.

أول هذه الأسباب أنه ليس يتفق أن يكون كل إنسان يصلح لكل عمل ولكل صناعة، بل قد يصلح لعمل دون عمل وصناعة دون صناعة. وثاني سبب ان الإنسان في تخصصه واتجاهه كلية نحو عمل معين واحد او صناعة واحدة، يكون عمله افضل ويكون هو أحذق واحكم عملاً إذا ما اتجه اتجاهاً كاملاً لعمله ولم يتشاغل بأشياء اخرى سوى عمله الأصلي. والسبب الثالث أن كثيراً من الأعمال لها أوقات متى تأخرت فأن النفع منها ربما يفسد، وقد يتفق أن يكون عملان وقتهما واحد بعينه، فأن تشاغل بأحدهما فاته الآخر ولم يلحق في وقت ثان. لذلك ينبغي أن يفرد وقته ولا يفوت.

وهكذا ندرك أن الفيلسوف ينصحنا بالتخصص حتى يكون العمل متقناً، وحتى يكون مجتمع المدينة منسجما يستطيع بتوزيع الأعمال أن يصل إلى الإبداع. ولهذا فإذا فعل كل واحد من اهل المدينة العمل الموكل إليه أو الذي رغبت فيه نفسه ووجد القابلية على أدائه، فأن ذلك الفعل يكسبه هيئات نفسية جيدة, ويضرب ابو نصر مثلاً بالعمل الكتابي، الذي هو في الوقت نفسه هيئة نفسانية ايضا، فيقول ان الكاتب كلما داوم على الكتابة، فأن هذه الكتابة تكسبه جودة باللذة وتزيده اغتباطاً. وكذلك الأفعال المقدرة المسددة نحو السعادة فأنها تقوى جزء النفس المعد بالفطرة للسعادة وتصيره بالفعل وعلى الكمال.

ويرسم ابو نصر الطريق أمام الفرد في المجتمع من حيث علاقته مع الآخرين وسلوكه معهم من خلال التنظيم الاجتماعي الذي يربطه بهم، وفي الوقت نفسه ينصح الشخص وما ينبغي عليه نحو نفسه. ان علاقة المرء مع رئيسه يجب أن تتسم بالإخلاص والمثابرة، ومن الواجبات التي ينبغي على المرء القيام بها، أن يكون ملازماً لرئيسه، كاتماً أسراره، مجتهداً في إبراز أوجه الحسن والخير في أعمال رئيسه. ام مع أكفائه، فمنهم الأصدقاء ومنهم الأعداء، ومنهم الأقرباء، الأصدقاء منهم المخلصون، فعلى المرء أن يكثر منهم ويتناسى زلاتهم، لأن الصديق عون المرء وناصره، ومنهم أصدقاء في الظاهر فقط، وان على المرء أن يجاملهم وألا يطلعهم على أسراره. والأعداء منهم ذوو حقد يجب الاحتراس منهم، ومنهم الحسود وعلى المرء أن يظهر لهم ما يغيظهم، وفي الوقت نفسه، أن يحذر منهم. اما الغرباء فهم ليسوا بأصدقاء ولا أعداء. منهم من يكون من النصحاء وعلى المرء أن يتقبل نصائحهم بعد أن يتأملها، إذا كانت تهدف إلى الصواب قبلها، ومنهم الصلحاء، وعلى المرء أن يستحسن اهدافهم في الصلح بين الناس، ومنهم السفهاء، وعلى المرء الحذر منهم ومقابلتهم بالحلم.

وما ينبغي على المرء عمله تجاه من هم دونه، وهم صنفان، الضعفاء والمتعلمون، والضعفاء منهم المحتاجون وذوو الفاقة، وعلى المرء أن يتبين صدق حاجتهم فيعطيهم إذا كانوا صادقين ويمتنع إذا كانوا كاذبين مدعين الحاجة. أما المتعلمون فأنهم طلبة العلم، وينبغي على المرء مساعدتهم وتوجيههم بالخير والصلاح. وإذا سعى إلى المال والمنزلة الاجتماعية عليه إلا يخل بشرفه ومروءته، وينبغي أن يكون معتدلاً في كسب ماله وخرجه، وعليه أن يبتعد عن اللذات الحسية والشهوات التي تذهب بماله ويبقى سخرية للآخرين، ويجب أن يكون كاتماً لأسراره كما أن عليه أن يستشير غيره من ذوي النبل والعقل، كما ان عليه أن يتسلح بسلاح المعرفة والأدب.

أما اجزاء المدينة فيحددها أبو نصر بخمس فئات، الأفاضل وذوو الألسنة والمقدرون والمجاهدون والماليون. الأفاضل هم الحكماء والمتعقلون وذوو الآراء في الأمور العظام ثم حملة الدين. وذوو الألسنة وهم الخطباء والبلغاء والشعراء والملحنون والكتاب ومن يجري مجراهم وكان في عدادهم. والمقدورن هم الحساب والمهندسون والاطباء والمنجمون ومن يجري مجراهم. والمجاهدون هم المقاتلة والحفظة ومن جرى مجراهم وعد فيهم. والماليون هم مكتسبو الاموال في المدينة، مثل الفلاحين والرعاة والباعة ومن جرى مجراهم.

ومع هذا فأن الفارابي يرى أن الرئيس الأول هو الذي يرسم للجميع الآراء والأفعال، ولاسيما في مدينة الملة، والملة التي يقصدها الفيلسوف هنا هي الملة الإسلامية، والجمع قد يكون عشيرة أو مدينة او ربما كان أمة عظيمة او امماً كثيرة. المهم أن الرئيس الأول إذا كان فاضلاً ورئاسته فاضلة. يلتمس بما يرسم أن ينال هو والمجتمع الذي يرأسه، والسعادة القصوى، وتكون تلك الملة ملة فاضلة. ونرى الفارابي يضيف مؤكداً ان الملة والدين يكادان يكونان اسمين مترادفين، وكذلك الشريعة والسنة، فأن هذين انما يدلان ويقعان عند الأكثر على الأفعال المقدرة من جزأي الملة، ويمكن أن تسمى الآراء المقدرة ايضاً شريعة، فتكون الشريعة والملة والدين أسماء مترادفة.

كذلك يحاول أبو نصر أن يفرق بين الدين والفلسفة فيقول أن الملة الفاضلة شبيهة بالفلسفة، وكما أن الفلسفة منها نظرية ومنها عملية، كذلك الملة فالعملية منها كلياتها في الفلسفة العملية، فالشرائع الفاضلة كلها تحت الكليات في الفلسفة العملية، والآراء النظرية التي في الملة براهينها في الفلسفة النظرية. ويذهب فيلسوفنا إلى أن المهنة الملكية التي عنها تلتئم الملة الفاضلة هي تحت الفلسفة، ومع هذا فأنه يرى أن من آراء الملة الفاضلة ما يوصف به الله تعالى، ثم ما يوصف به الروحانيون ومراتبهم في انفسهم ومنازلهم من الله تعالى، ثم كون العالم وما يوصف به العالم

وأجزاؤه ومراتب أجزائة، وكيف حدثت الاجسام الاول وكيف حدثت سائر الأجسام، وكيف ارتباط الأشياء التي يجويها العالم بعضها ببعض وانتظامها وأن كل ما يجري فيها عدل لا جور فيه، وكيف نسبة كل واحد منها إلى الله تعالى وإلى الروحانيين، ثم ان توصف النبوة والوحي والموت والحياة الآخرة كيف أن الأفاضل يصيرون إلى السعادة والأراذل إلى الشقاء. وكذلك معرفة الأنبياء والملوك الأفاضل والرؤساء الأبرار، وكيف كان أثرهم العظيم في المدن الفاضلة.

ولابد ان نشير هنا إلى أن الفارابي في معالجته تنظيم المدينة الفاضلة وتكون المجتمع الفاضل لم يذهب إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات متفاوتة في المنزلة، إذ أن الفضيلة العليا عنده هي فضيلة العقل والحكمة والتمييز والمعرفة، وأن كل فرد يعمل في المدينة حسب ميوله العقلية أو الجسمية فيكون هذا محارباً والآخر مالياً والثالث مجاهداً. أنه يرى أن التنظيم الاجتماعي يوجب أن تتوزع الأفعال في الجماعة، وهذا لا يعني عنده أن الشخص يقوم بفعل معين لا يعاونه فيه آخر، وأنما هو يدرك قيمة التضامن في العمل فيقول أن الذي يفوض إليه بأمر الفلاحة لا يتم فعله دون أن يعاونه النجار، وذلك بأن يعد له خشبة الكراب والحداد يعد له حديدة الكراب، هذا من ناحية التعاون كأفراد، ولكن من جهة ثانية يمكن أن تتعاون الجماعات جماعة جماعة، وكذلك يكون تعاون المدن والأمم.

وهكذا فأن الفارابي يعطي الأهمية الكبرى للرئاسة الفاضلة في تنظيم المجتمع، إذ هي التي شأنها أن توزع في المدن أو في أمة أو في امم، توزع الصناعات وتجتهد أن تحفظها على أصحابها حتى لا تزول أو تبيد. وأن الرئاسة الفاضلة هي التي يكون هدفها في المدينة أو الامة أن ينال أهل المدينة السعادة القصوى، وأن المهنة الملكية التي بها تكون هي الرئاسة هي المهنة الملكية الفاضلة، والسياسة الكائنة عن هذه المهنة هي السياسة الفاضلة. والمدينة أو الامة المنقادة لهذه السياسة هي المدينة الفاضلة والأمة الفاضلة، والإنسان الذي هو جزء من هذه المدينة أو الأمة هو الإنسان الفاضل.

الفصل التاسع

تفاضل المجتمعات بدرجة الكمال

المجتمعات عند الفارابي على نوعين، كاملة وغير كاملة. كاملة تقسم إلى ثلاث، عظمى ووسطى وصغرى. العظمى اجتماع الجماعة كلها في المعمورة. ويقصد الفارابي هنا بهذا المجتمع العظيم، اجتماع واحد لجميع البشر دون تمييز، ونستطيع القول أنه من الناحية السياسية لابد أنه يقصد بدولة واحدة تجمع البشرية كافة، ولاشك أن هذا الفيلسوف الكبير قد سبق غيره من الفلاسفة والمفكرين شرقاً وغرباً، بقرون كثيرة عندما تخيل مجتمع الإنسانية الواحد. أما المجتمعات الثانية فهي الوسطى، ويعني الفارابي اجتماع أمة في جزء من الأرض، والصغرى اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمة. أما غير الكاملة فهي اجتماع أهل القرية، واجتماع أهل المحلة، واجتماع في سكة، ثم اجتماع في منزل. أن اجتماع المنزل، ونعني باجتماع العائلة، يعتبر أصغر المجتماعات في راي الفارابي. أنه يعتبر أن مجتمع المنزل جزء من السكة، والسكة جزء من المحلة، والمحلة جزء من المدينة. كذلك يعتبر أن القرية خادمة للمدينة، ولاشك أنه يعني أنها تموِن المدينة بمواد الزراعة والأغذية. كذلك عند الفارابي، أن المدينة جزء من امة، والأمة جزء من جملة اهل المعمورة. ولاشك أن تقسيم الفارابي هذا للمجتمعات تقسيم عالم صائب ما يزال يصدق على تكوين المجتمعات حتى في عصورنا الحاضرة.

أن مجدتمع المنزل يلتئم ويعمر من الأسر التي هي براي فيلسوفنا محدودة تتكون من الزوج و الزوجة ووالد وولد وقنية ومقتنى. ولاشك أن الفارابي من ناحية ترابط الأسرة وعدم تفككها والمحافظة على الحقوق والواجبات بين الأب والأبن، كما أن القنية المعتدلة شرط ضروري للحياة الكريمة، ولكن الغريب ان يشترط الفيلسوف للعائلة عبدأ ومولى، فهل هو يقصد يا ترى العائلة المقتدرة من الناحية السياسية أوالاجتماعية او الاقتصادية، وأن مدبر المنزل في المنزل هو مثل مدبر المدينة في المدينة.

المدينة قد تكون ضرورية وقد تكون فاضلة. المدينة الضرورية هي التي يتعاون أجزاؤها على بلوغ الضروري فيها يكون به قوام الإنسان وعيشة وحفظ حياته فقط، أما المدينة الفاضلة فهي التي يتعاون أهلها على بلوغ أفضل الأشياء التي بها يكون وجود الإنسان وقوامه وعيشه وحفظ حياته.

يريد أبو نصر من اهل المدينة الفاضلة أن يعملوا أشياء مشتركة لابد من العلم بها بصفتهم أهل مدينة فاضلة. أول هذه الأشياء معرفة السبب الأول وجميع ما يوصف به ثم الأشياء المفارقة للمادة وما يوصف به كل واحد منهم بما يخصه من الصفات والمرتبة إلى أن تنتهي من المفارقة إلى العقل الفعال، وفعل كل واحد منها، ثم الجواهر السماوية وما يوصف به كل واحد منها، ثم معرفة الأجسام الطبيعية التي تحتها وكيف تتكون وتفسد وأن ما يجري فيها يجري على أحكام واتقان وعناية وعدل وحكمة، وأنها لا إهمال فيها ولا نقص ولا جور ولا بوجه من الوجوه.

كذلك كون الإنسان، وكيف تحدث قوى النفس، وكيف يفيض عليها العقل الفعال الضوء حتى يحصل المعقولات الأولى، والإرادة والاختيار، ثم الرئيس الأول وكيف يكون الوحي، ثم الرؤساء الذين ينبغي أن يخلفوه إذا لم يكن هو في وقت من الاوقات، ثم المدينة وأهلها، والسعادة التي تصير إليها أنفسهم، والمدن المضادة لها وما تؤول إليه أنفسهم بعد الموت، فبعضهم إلى الشقاء وبعضهم إلى العدم ثم معرفة مزايا الأمم الفاضلة والأمم المضادة لها. وأن المدينة الفاضلة لهم أشياء مشتركة يعلمونها ويفعلونها، وأشياء أخر من علم وعمل يخص كل رتبة وكل واحد منهم، وبهذين يبلغ كل منهم السعادة.

وكلما داوم على الفعل أكسبته أفعاله هيئة نفسانية جيدة فاضلة، وكلما داوم عليها أكثر صارت هيئته أقوى وأفضل وتزايدت قوتها وفضيلتها. ان الممارسة والمداومة والرياضة، كل هذه لها أثر في الالتذاذ وشعور الإنسان بالاغتباط ويزيد للعمل محبة حتى ينال السعادة.

أما مضادات المدينة الفاضلة، فأنه يذكر، المدينة الجاهلية والمدينة الفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة. أما أهل المدينة الجاهلية فأنهم لم يعرفوا السعادة الحقيقية، وذلك لأنهم عرفوا من الخيرات التي تظن أنها هي الغايات في الحياة، وهي سلامة الأبدان واليسار والتمتع باللذات، وان هم الواحد منهم ان يكون مكرما معظماً في هذه الحياة وأنهم يعتقدون أن هذه هي السعادة. أما الشقاء عندهم فهو آفات الأبدان والفقر وعدم التمتع باللذات. وهذه بلا شك خيرات ولذائذ تهم البدن وأنها زائلة، وكذلك المنزلة الاجتماعية التي ينشدها أهل المدينة الجاهلية وأن يكونوا مكرمين معظمين وحتى هذه الخيرات فأنها متغيرة متبدلة تخضع لعوامل التغير والزمن.

ويقسم الجاهلية إلى عدة مدن منها:

المدينة الضرورية وهي التي يقتصر أهلها على ما هو ضروري في الحياة من المأكول والمشروب والمسكون، والتعاون على حصول هذه الأشياء والاستفادة منها.

والمدينة البدالة والتي يكون غرض أهلها اليسار والثروة، منهم يتعاونون على جمع الثروة ولكن لا يكون غرضهم نحو هدف آخر من خلال اليسار وأنما اليسار هو عنايتهم في الحياة.

ومدينة الخسة والشقوة، والتي يكون غرض أهلها التمتع باللذائذ الحسية من مأكول ومشروب ومنكوح وايثار اللعب والهزل.

ومدينة الكرامة وكل ما يهم أهلها هو أن يكونوا مكرمين ممدوحين، سواء بعضهم البعض أو من قبل الآخرين.

ومدينة الغضب ويكون هدفهم في الحياة أن يكونوا الغالبين لغيرهم من المدن والقاهرين لها، وان لذتهم في الغلبة والقهر.

المدينة الجماعية وهي التي قصد أهلها أن يكونوا أحراراً يعمل كل واحد منهم ما شاء لا يمنع هواه في شيء أصلاً.

أما ملوك المدن الجاهلية، فأن الفارابي يرى أن ميزتهم وتسلطهم يكون حسبه هو من هؤلاء الملوك وميلهم ليس إلا.

أما المدينة الفاسقة فهي التي يتميز أهلها بأن آراءهم فاضلة، ويعرفون طريق السعادة ويعلمون الله والعقل الفعال، وباختصار أنهم يعلمون كل ما يعلمه أهل المدينة الفاضلة ويعتقدون، ولكن فعلهم يكون مثل أفعال أهل المدن الجاهلية.

والمدينة المبدلة وهي التي كانت آراؤها وأفعالها في السابق آراء المدينة الفاضلة وأفعالها، غير أنها تبدلت فدخلت فيها آراء غير تلك واستحالت أفعالها غير تلك.

والمدينة الضالة وهي تعتقد في الله عز وجل، آراء فاسدة، ويكون رئيسها ممن يوهم الآخرين بأنه رجل يوحي إليه، ويستعمل في ذلك التمويهات والمخادعات والغرور.

وبما أن رئيس المدينة أو الملك مهم جداً لأنه الراس الأول والعضو المهم في المدينة به تدمر المدن الفاضلة وتعمر، ولكن مع هذا فأن صفات المدن المذكورة أعلاه مضادة لصفات وميزات ملوك المدن الفاضلة.

الفصل العاشر

مقارنة أصل الدولة والمجتمع عند الفارابي
بأفكار أرسطو وافلاطون
وابن خلدون وتوماس هوبز وروسو

وإذا أردنا أن نقارن آراء الفارابي في مجال نشأة الدولة وأصل المجتمع مع فلاسفة آخرين، سابقين ولاحقين، نجد أن أرسطو لا يقول بإنسانية الإنسان الذي يعيش منفرداً، إذ عنده أن الإنسان الطبيعي الذي يعيش مع عائلة ومجتمع، وأن مقولته معروفة في هذا الشأن، فهو الذي يقول أن الإنسان مدني بالطبع. أن السعادة عند أرسطو غاية الإنسان وأنها أعظم الخيرات، وأنها تتم بالسيرة الحسنة، وأن السيرة الصالحة تتم في المجتمع. وأن أرسطو يرى المشاركة في الحياة، مع الآخرين، وأن الفضيلة لا تتم إلا في المجتمع. أن الإنسان السعيد ينبغي أن تكون حياته لذيذة، وهذا يتم في المجتمع، بينما الإنسان المتوحد تكون حياته ثقيلة عليه، بينما الذي يحيا بصحبة الآخرين تكون حياته أيسر. كما أن ارسطو يقرر أن القوانين قد وجدت لحماية الجماعة، وأن القوانين عادلة براي ارسطو فهو الذي يوزع الموارد العامة والأشياء المشتركة ويقسمها على المجموع بحسب التناسب الذي يستحقه كل واحد.

ولابد من الإشارة إلى أن أرسطو ليس أول فيلسوف قال أن الإنسان مدني بالطبع، لقد سبقه أستاذه افلاطون إلى ذلك، إذ خصص الكتاب الثاني من جمهوريته لمناقشة فكرة الدولة والمجتمع أن الإنسان براي افلاطون محتاج إلى الآخرين، وهذا هو سبب منشأ المجتمع والدولة. ويصور لنا أفلاطون حياة الفطرة السليمة في المجتمع الأول الذي يتكون من الزراع والحاكة والأساكفة والرعاة والصناع، أنهم يجنون ذرة وخمراً ويصنعون ثياباً وأحذية ويشيدون لأنفسهم بيوتاً، ويمكنهم العمل صيفاً أكثر الوقت بدون أحذية ولا اردية، اما في الشتاء فيجهزون بما يلزمهم منها، ويقتاتون بالقمح والشعير، ويصنعون خبزاً وكعكاً ويجلسون على أسرة مصنوعة من اغصان السرو والآس، ويتمتعون بصفاء العيش مع أولادهم. وبلاشك تنشأ بعد هذا تجارتهم الخارجية مع البلدان الأخرى، ثم تتطور حياتهم البسيطة إلى حياة الدولة بكل ما فيها من قوانين ورجال اعمال وإداريين وشعراء واطباء. وكذلك يملي عليهم احتكاكهم مع الدول المجاورة إلى تكوين جيش لرد اعتداء المعتدين. كذلك تنشأ في هذه

الدولة طبقة حكام. وعند افلاطون، أن هؤلاء الحكام يجب أن يتمتعوا بالقوة والشجاعة، ولكن مع هذا لا ينسى افلاطون شرطه الأساسي في الرجل الحاكم، وهو أن يكون عنده ميل إلى الفلسفة ليخلق منه الملك الفيلسوف.

أما من الفلاسفة اللاحقين، فهناك المفكر العربي الكبير ابن خلدون الذي يرى أن اجتماع الإنسان شيء ضروري، وأن العمران برأيه أنما يحصل عن طريق الاجتماع. ويضيف ابن خلدون قائلاً أن الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان لا تصلح حياته إلا بالغذاء. كما نلاحظ الآراء عند ابن خلدون تشابه أفكار الفارابي، عندما يذكر أن الإنسان الفرد لا يستطيع أن يكفي نفسه بنفسه لضروريات حياته ولذا فهو محتاج إلى الآخرين، لأن الحياة الاجتماعية لا تتم إلى بصناعات متعددة واختصاصات كثيرة كالزراعة والحدادة والتجارة، وكل مهنة من هذه المهن تحتاج إلى آلات متعددة، ومن المستحيل أن يفي شخص واحد بذلك، ولذا فهو محتاج إلى معاونة بني جنسه حتى يحصل الجميع على كفايتهم عن طريق التعاون. كما يشير ابن خلدون إلى أن الإنسان يحتاج الآخرين في الدفاع عن نفسه والاستعانة بأبناء جنسه، وذلك لأن الإنسان أضعف قوة من كثير من الحيوانات والعجم وأن الإنسان يتميز بقوة الفكر، وحركة اليد التي خلقت مهيئة للصنائع بخدمة الفكر، فاستطاع الإنسان أن يعد السلاح ليحمي نفسيه من شرور الحيوان.

الاجتماع إذن عند ابن خلدون ضروري للنوع الإنساني، وإلا فأن وجودهم لم يكمل. نلاحظ أن وجود الإنسان عند ابن خلدون يكون بالاجتماع فالإنسان إذن قبل أن يجتمع ليس له وجود وأن عمران العالم يكون بالاجتماع. يقرر بعد هذا ابن خلدون أن الاجتماع إذا حدث وتم عمران العالم فلابد للبشر من الحكم الوازع يدفع عدوان بعضهم على بعض، وذلك لأن فيهم طباعاً حيوانية من العدوان والظلم، وأن الذي يستطيع أن يكف العدوان هو الرئيس، الذي هو عند ابن خلدون، السلطان أو الملك.

لم يكتف ابن خلودن بوصف الاجتماع الأول وتكوين المدينة، بل انه يذهب اكثر من ذلك فيشير إلى أن الإنسان بعد الاجتماع والتعاون كما هو ضروري، إذ يعمل البعض سد حاجتهم في الفلاحة، والبعض في تدجين الحيوان، ويكون أول أمرهم سد حاجاتهم وكسب معاشهم وبناء عمرانهم من القوت للغذاء، ومن يجلب الدفء من البناء، بالمقدار الذي يحفظ الحياة، اما بعد ذلك فأن اتسعت احوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى دعاهم ذلك إلى المكوث والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضروري، واستكثروا من الأقوات والملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج ومغالاة البيوت والصروح، ويتخذون القصور والمنازل، ويبالغون في اختيار الجيد من الملابس والفراش والآنية. وهؤلاء برايه هم الحضر أهل الأمصار والبلدان، الذين ينتحلون الصناعة والتجارة، وتكون حياتهم أرفه من المجتمعات البدوية والزراعية.

أما توماس هوبز، فأنه لا يعتقد بوجود غريزة طبيعية في الإنسان تحمله على التعاون والاجتماع. انه يرى أن الإنسان الأول في حالة حرب مع أخيه الإنسان، أو بعبارة أخرى أن الإنسان ذئب للإنسان، وأن الكل في حرب مع الكل، ولذا فأن شعور القوة عند الفرد تجعله يستأثر بأكثر ما يستطيع من خيرات الأرض، وإذا افتقر هذا الإنسان إلى القوة لجأ إلى الحيلة. أن هوبز يضرب أمثلة على ما كان يعمله الإنسان الأول في معاملة بعضهم البعض، وكذلك يذكر ما نتخذه نحن جميعاً من تدابير الحيطة وأساليب العدوان، وكذلك ما نراه من علاقة الدول بعضها ببعض، وأن كل ما تصنعه الحضارة هو أن تحجب العدوان بستار الأدب، وأن تستبدل العنف المادي بالحيلة والانتقام في حدود القانون.

ويقول هوبز بعد ذلك بنظرية التعاقد والتسامح، وألا يصنع الإنسان بالغير ما يكره أن يصنعوا به ويكون التعاقد بأن يتنازل كل فرد عن حقه المطلق في حال الطبيعة ، إلى سلطة مركزية قد تكون فرداً أو هيئة اجتماعية تعمل لخير المجموع،

وتكون سلطتها قوية مطلقة حتى تقضي على الخصام بين الأفراد، وعنده أن الملكية خير أشكال الحكومة.

لعل كل متعلم قرا قول جان جاك روسو المشهور، أن الإنسان يولد حراً ولكن الإنسان يوجد مقيداً في كل مكان، وأن مجتمع الأسرة بنظر روسو هو أقدم المجتمعات، وهو المجتمع الطبيعي الوحيد، وذلك أن الأولاد يبقون مرتبطين مع الأب وإلى الزمن الذي يشعرون انهم لم يعودوا يحتاجون رعاية الأب في حفظ أنفسهم. عند ذاك يحلون انفسهم، وأن هذه الحرية – كما يرى روسو – هي نتيجة طبيعة الإنسان لأن قانون الإنسان الاول هو أن يعني ببقائه الخاص، وواجبه تجاه نفسه هو أول ما يحرص عليه.

ان الإنسان المتوحد برأي روسو سعيد، لأنه حر وحاجاته قليلة. وكل إنسان مساو لكل إنسان، وهذه هي حالة الإنسان الأول، ولكن ظروف الطبيعة كالبرد والزلازل والفيضان اضطرته إلى الاجتماع بالآخرين. أن الإنسان بعد أن عرف الزراعة واستعمال الحديد زاد تعاونه واشتد الخصام، فيضع الأقوياء قوانين يكبلون بها الفقراء الضعفاء. أن روسو يرى أن يتنازل كل فرد عن حقوقه للشعب بأكمله بموجب عقد، ويكون هذا العقد أساس المجتمع الحقيقي الذي تسوده المساواة والقانون ويصبح كل عضو كجزء من المجموع، ويكون الجميع مشتركين في السلطة ذات السيادة.

الفصل الحادي عشر

تشبيه المجتمع بالكائن العضوي
وسبق الفارابي لهوبرت سبسر

نلاحظ ان الفارابي في تقسيمه لأجزاء النفس الإنسانية وحدوث قواها واحدة بعد الآخرى، يرى أن لكل قوة من هذه القوى رئيساً وتوابع، أي انه بعبارة اخرى يجعل كل جزء من النفس وكأنه جزء من مدينة فيها رئيس ومرؤوسون. أن الفارابي يرى أن أول ما يحدث في الإنسان القوة التي يتغذى بها والتي تسمى بالقوة الغاذية وهي التي يتغذى بها الإنسان. ومن ثم القوة الحاسة وهي التي يحس بها. ثم القوة المتخيلة وهي التي تركب المحسوسات بعضها إلى بعض وتخيل بعضها عن بعض، ويكون بها نزوع نحو ما يتخيله. وبعد ذلك تحدث القوة الناطقة التي بها يمكن أن يعقل المعقولات، وبما يميز بين الجميل والقبيح، وبها يصور الصناعات والعلوم.

القوة الغاذية، منها قوة واحدة رئيسة، ومنها قوى هي رواضع لها وخدم. القوة الرئيسة هي القلب، والمرؤوسة مثل المعدة والكبد والطحال وحتى هذه الاعضاء تخدم القلب لكنها تخدم ايضا، فالكبد مثلا يراس بالقلب ويراس المرارة والكلية واشباهها من الاعضاء، والمثانة تخدم الكلية، والكلية تخدم الكبد والكبد يخدم القلب، وعلى هذا توجد سائر الأعضاء.

والقوة الحاسة فيها رئيس وفيها رواضع، والرواضع هي الحواس الخمس المعروفة، كل واحدة من هذه الحواس تدرك شيئاً معيناً يخصه، اما الرئيسة منها فهي في القلب وهي تشبه الملك، وذلك لأنها تجمع ما تدركه الحواس الخمس، وكأن هذه الحواس الخمس أصحاب اخبار، كل واحد موكل بجنس من الاخبار، أو أنها موكلة بأخبار من نواحي المملكة.

والقوة المتخيلة هي واحدة، وتكون في القلب، وأنها تحفظ المحسوسات بعد غيبتها وهي حاكمة على المحسوسات ومحكمة فيها.

اما القوة الناطقة، فلا رواضع ولاخدم لها من نوعها في سائر الأعضاء، بل انما رئاستها على سائر القوى، فهي رئيسة القوة الغاذية والقوة الحاسة والقوة المتخيلة.

الفارابي إذن يشبه المدينة الفاضلة بالبدن التام الصحيح، الذي تتعاون اعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان وعلى حفظها عليه، فكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوة فيها عضو واحد رئيس هو القلب، وأعضاؤه تقرب مراتبها من ذلك الرئيس وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله ابتغاء لما هو بالطبع يفرض ذلك العضو الرئيس، وأعضاء آخرى فيها قوى تفعل أفعالها على حسب اغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة، وهذه في الرتبة الثانية، وأعضاء آخرى تفعل الأفعال على حسب غرض هؤلاء الذين في هذه المرتبة الثانية، وهكذا إلى ان تنتهي إلى اعضاء تخدم ولا تراس أصلاً. كذلك المدينة فأن أجزاءها مختلفة الفطرة متفاضلة الهيئات. في هذه المدينة رئيس وآخر مرتبته أدنى من الرئيس. وكذلك هناك جماعة يعدهم الفارابي من ذوي المراتب الأول، وهم يراسون هيئات ويفعلون بمقتضى ما يريده الرئيس. كذلك يوجد دون هؤلاء قوم يفعلون الأفعال على حسب اغراض أهل المراتب الأول، اما هؤلاء فهم في المرتبة الثانية، وهناك أناس دونهم في المرتبة يفعلون الأفعال على حسب أغراض هؤلاء. وهكذا تترتب أجزاء المدينة إلى أن تنتهي إلى آخرين يفعلون أفعالهم على حسب أغراضهم، فيكون هؤلاء هم الذين يخدمون ولا يخدمون، هؤلاء يكونون في أدنى المراتب، ويكونون هم الأسفلين.

ومع هذا فأن الفارابي يفرق بين افعال الهيئة الاجتماعية وبين وظائف أعضاء البدن. انه يدرك أن أعضاء البدن تفعل افعالها بصورة طبيعية بينما اجزاء المدينة، وأن كانوا طبيعيين، فأن الهيئات والملكات التي يفعلون بها افعالهم للمدينة ليست طبيعية بل إرادية. أن كل إنسان في المدينة، والذي هو جزء من الهيئة التي تكون المدينة، أنه مفطور بالطبع على شيء وغيره مفطور على شيء آخر يصلح له، ولكنهم كأعضاء فأنهم ليسوا بالفطرة التي طبعوا عليها ولكنهم بالملكات الإرادية التي يحصلون

عليها، وهي الصناعات وما شاكلها، اي أن القوة التي هي أعضاء البدن بالطبع، بينما نظائرها في أجزاء المدينة ملكات وهيئات إرادية.

ويشرح أبو نصر مقارنته بين المدينة وبدن الإنسان، فيقول أن المدينة أو المنزل قياس كل واحد منهما قياس بدن الإنسان، فكما أن االبدن مؤتلف من أجزاء مختلفة محدودة العدد بعضها أفضل وبعضها أحسن، وكل واحد يعمل عمله الخاص به، فيجتمع من أفعالها كلها التعاون على تكميل الغرض ببدن الإنسان. كذلك المدينة أو المنزل يأتلف كل واحد منهما من اجزاء مختلفة، بعضها افضل وبعضها احسن، يجتمع من أفعالها التعاون على تكميل الغرض بالمدينة أو المنزل. وكما أن المنزل جزء من مدينة والمنازل في المدينة الغرض منها بصورة عامة التعاون على تكميل غرض المدينة كذلك البدن فأن الراس والصدر والبطن والظهر واليدين والرجلين قياسها من البدن قياس منازل المدينة من المدينة. وفعل كل واحد من الأعضاء الكبار غير فعل الآخر، واجزاء كل واحد من هذه الأعضاء الكبار غير فعل الآخر، وأجزاء كل واحد من هذه الأعضاء الكبار تتعاون بأفعالها المختلفة على تكميل الغرض بذلك العضو الكبير، ثم تجميع من الأغراض المختلفة للأعضاء الكبار، إذا تكاملت، ومن أفعالها المختلفة، تعاون على تكميل جملة البدن، كذلك حال أجزاء المنازل من المنازل، وحال المنازل من المدينة، حتى تكون المنازل من المدينة، حتى تكون اجزاء المدينة كلها بأجتماعها نافعة للمدينة ونافعة في قوام بعضها ببعض مثل ما عليه أعضاء البدن.

ويقارن كذلك بين صحة البدن وبين كمال فضيلة المدينة. فكما أن الطبيب يعالج أي عضو من اعضاء البدن إذا اعتل بالقياس إلى شفائه وما يفيد الأعضاء المجاورة أو المرتبطة كذلك بالنسبة إلى نفع صحة البدن بصورة عامة كذلك تدبير المدينة أن يدبر كل جزء من أجزاء المدينة، سواء أكان هذا الجزء صغيراً مثل إنسان واحد أو كبيراً مثل منزل واحد، ويعالجه ويفيده بالخير بالقياس إلى جملة المدينة وإلى كل جزء من

سائر أجزاء المدينة وذلك بأن يتحرى ان يجعل ما يفيد ذلك الجزء من الخير خيراً لا يضر به جملة المدينة ولا جزءاً من أجزائها، بل يقدم خيراً تنتفع به المدينة بأسرها وكذلك ينتفع كل واحد من اجزائها بحسب مرتبته في نفعه المدينة. ولا ينسى الفارابي أن يشير إلى أن العضو في البدن إذا أصابه العطب والفساد ولم يعد ينفع معه علاج وإذا ترك وشأنه، فأنه يتعدى إلى سائر الأعضاء فيتلفها وربما يقضي على البدن، ولابد أن يقطع ذلك العضو. كذلك في المدينة، فإذا فسد أحد أعضاء المدينة ويخشى أن يتعدى فساده إلى الآخرين فينبغي أن ينفى ويبعد لما فيه من صلاح سكان المدينة الآخرين.

ويدرك الفيلسوف المسلم أنه ليس من السهل أن يتمتع كل بدن بالصحة الكاملة، كذلك ليس من السهولة أن يقتني كل فرد الفضائل كلها، فنراه يذهب إلى أننا كما في أبداننا لا يمكن أن نقتني فيها جميع أصناف الصحة وأمزجتها أو خلقها أو عاداتها، أو حال المسكن الذي يخصها أو الصناعة التي تتعيش بها وما أشبه ذلك، وهذه حال أكثر الأبدان، كذلك حال الأنفس فلا يمكن أن تقتني أكثر الفضائل، وليس على السائس الفاضل والرئيس الأول إلا أن يجعل هذه تبلغ من الفضائل ما تستطيع وبحسب المنافع لأهل تلك المدينة، كما أنه ليس على الطبيب الفاضل أن يبلغ بالأبدان إلى الكمال منازل الصحة وأعلى درجاتها وأنما عليه أن يبلغ بها من الصحة إلى أكثر ما يمكن في طبعها وجوهرها وبحسب أفعال النفس. أن البدن من أجل النفس والنفس من أجل الكمال الأخير وهو السعادة وفي الفضيلة فالنفس من أجل الحكمة والفضيلة.

ولابد أن نذكر هنا أن فيلسوفنا قد سبق أصحاب المذهب العضوي الذين حاولوا المقارنة بين الكائن العضوي والكائن الاجتماعي، والذين ذهبوا إلى أن كل عضو في المجتمع يقوم بعمله كما يفعل اي عضو في الجسد. ومن هؤلاء الفيلسوف الإنجليزي المعاصر هربرت سبنسر (1820-1903).

ولاشك أن من الصعوبة المقارنة بين الفارابي وسبنسر في هذا المجال، إذا ما علمنا أن الفارابي فيلسوف رياضي منطقي وسبنسر حسي تطوري. ولكن مع هذا فأننا نستطيع أن نقرر أن الفارابي قد سبق سبنسر في المقارنة بين الجسم العضوي والجسم الاجتماعي كما أن الفارابي قد تنبه قبل هربرت سبنسر، وميز بين الفعل الإرادي عند الكائن الاجتماعي وبين الفعل الطبيعي في أي عضو من أعضاء الجسم.

المصـــادر

1. الفارابي محمد ابو نصر: آراء المدينة الفاضلة، بيروت 1959.
2. الفارابي محمد ابو نصر: التنبيه على سبيل السعادة، بيروت 1985.
3. الفارابي محمد ابو نصر: تحصيل السعادة، حيدر اباد الركن 1346 هـ.
4. الفارابي محمد ابو نصر: السياسات المدنية، بيروت 1964.
5. الفارابي محمد ابو نصر: الثمرة المرضية طبعة لبدن.
6. الفارابي محمد ابو نصر:الفصول المدني كامبردج 1970.
7. الفارابي محمد ابو نصر: كتاب الملة، بيروت 1970.
8. إلفارابي محمد ابو نصر: كتاب التعليقات، بيروت، 1988.
9. أفلاطون: كتاب الجمهورية، القاهرة.
10. ارسطو: السياسة، دمشق 1957.
11. الفارابي: الموسيقى الكبير، القاهرة 1967.
12. حسين محفوظ وجعفر آل ياسين: مؤلفات الفارابي، بغداد 1975.
13. رسائل الكندي الفلسفية، القاهرة 1969.
14. رسائل الرازي الفلسفية، القاهرة 1939.
15. ابو حيان التوحيدي: المقايسات، القاهرة 1929.
16. ابو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، بيروت
17. ابن النديم: الفهرست، بيروت 1340هـ.
18. ابن ابي اصيبعة: طبقات الأطباء، القاهرة 1882.
19. القفطي: اخبار الحكماء، لايبزل 1903
20. صاعد الأندلس: طبقات الأمم.
21. ارسطو: كتاب الأخلاق.
22. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، بيروت
23. جان جاك روسو: العقد الاجتماعي
24. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة 1962.

الفهرست

المقدمة	5
الفصل الأول أصل الدولة والمجتمع	19
الفصل الثاني النفس	39
الفصل الثالث الفضيلة والرذيلة	47
الفصل الرابع السعادة	57
الفصل الخامس الفكر السياسي	73
الفصل السادس رئيس المدينة الفاضلة	97
الفصل السابع العدل	115
الفصل الثامن التخصص والتنظيم الاجتماعي	123
الفصل التاسع تفاضل المجتمعات بدرجة الكمال	129
الفصل العاشر مقارنة أصل الدولة عند الفارابي بأفكار ارسطو وافلاطون وابن خلدون وهوبز وروسو	135
الفصل الحادي عشر تشبيه المجتمع بالكائن العضوي وسبق الفارابي لهربرت سبنسر	141
المصادر	149

كتب للمؤلف

أ. الشعر:

1. فانوس ديوجينوس- شعر، ط1، دار المناهل- بيروت 1989.
   ط2، مكتب الغفران، بغداد، 2010.
2. النزيف- ملحمة شعرية- دار الكاتب-بغداد 2000.
3. بين أفياء الزهور-ملحمة شعرية-دار الكاتب-بغداد 2000.
4. ورقاء اليمام-ملحمة شعرية-دار الكاتب- بغداد 2000.
5. مناجاة سائح-ملحمة شعرية- دار الكتاب-بغداد 2001.
6. يا بلبل غن- دار الكاتب 2004. ط2، مكتب الغفران، بغداد، 2010.
7. أنا ومزماري الاثير- مطبعة المستقبل، بغداد، 2006.
8. انا ومصباحي المنير- مطبعة المستقبل، بغداد، 2006.
9. غريق-لفحة شعرية-مكتب الغفران-بغداد-2008.
10. بغداد يا بغداد- ملحمة شعرية- مكتب الغفران-بغداد-2008.

ب. الرواية والقصة:

1. نورا-رواية-ط1-دار الشؤون الثقافية- بغداد 1981.
   ط2- مكتب الغفران- بغداد 2010.
2. مزمار نوار- ط1- رواية دار الشؤون الثقافية- بغداد 1980.
   ط2- مكتب الغفران-بغداد-2010.
3. ابو زيد القهرماني- ط1 -رواية دار الاندلس- بيروت 1980.
   ط2- مكتب الغفران-بغداد-2010.
4. يوم جديد- رواية- دار الشؤون الثقافية- بغداد 1990.
5. سلمى- رواية-دار المسار-بغداد 1990.

6. الجدار-رواية- دار الشؤون الثقافية، بغداد 1997.
7. قصص من كامبردج،مجموعة قصص،ط1-منشورات عويدات- بيروت 1975.

ط2- دار الاندلس، بيروت 1979.

ط3-دار الشؤون الثقافية- بغداد 1988.

8. سلاسل –مسرحية- بغداد 1953.
9. الثور والناعور- رواية- مكتب الغفران-بغداد-2008.
10. الباكورة- رواية- ط1- مكتب الغفران-بغداد-2008.

ط2-مكتب الغفران – بغداد-2009

11. وداعاً للكسل- رواية- دار الشؤون الثقافية 2002.
12. عودة الايام-رواية-دار الكاتب- بغداد 2002.
13. القشور-رواية-أربعة اجزاء-دار الكاتب-بغداد-ط1- 2002.

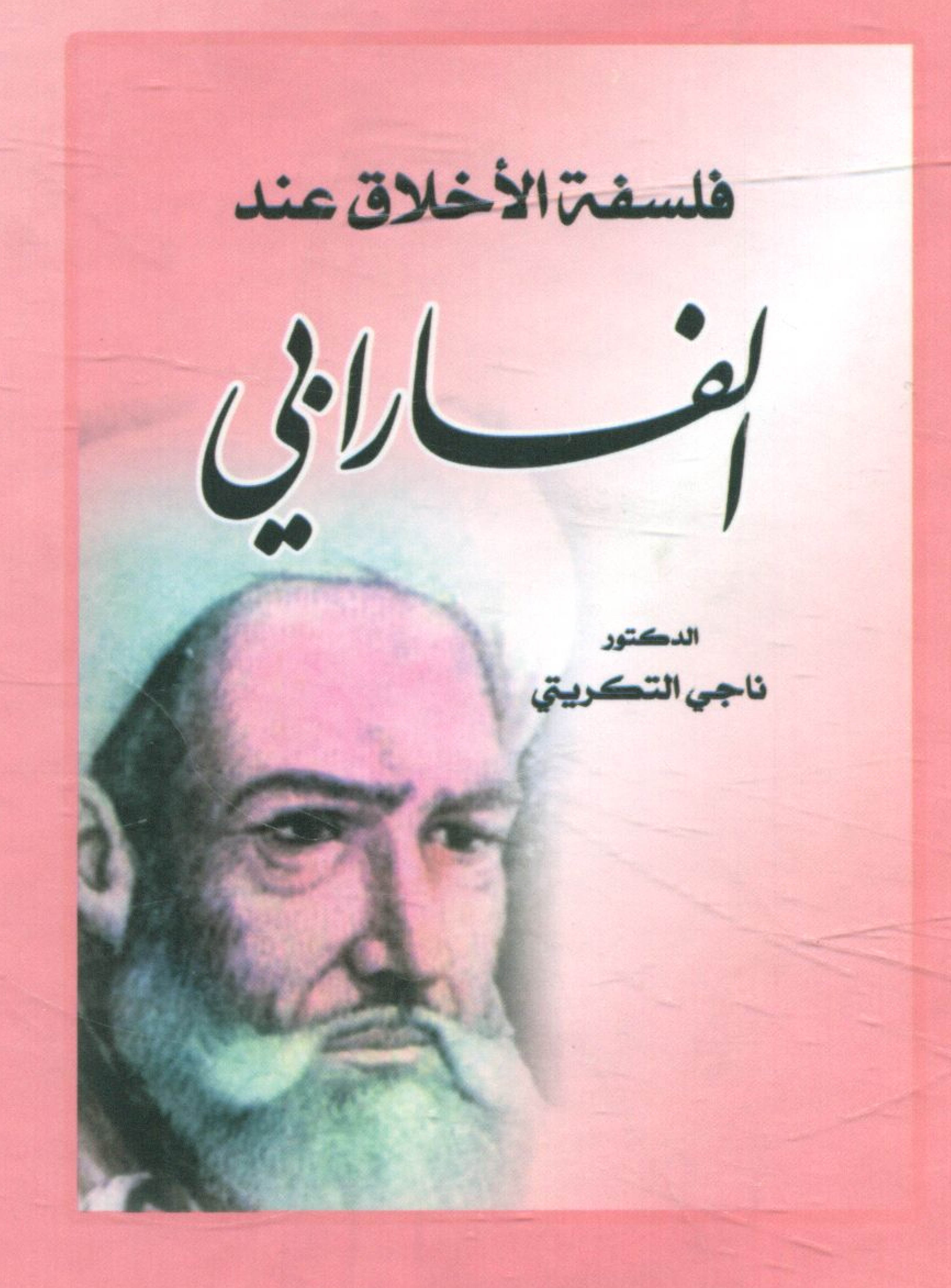
ط2- دار الشؤون الثقافية-بغداد-2005

ط3-مكتب الغفران– بغداد- 2009

14. بجماليون- مكتب الغفران-بغداد-2008.
15. الملح الفاسد-رواية-تنتظر الطبع.
16. جلد الذئب-رواية -اربعة اجزاء-مكتب الغفران-بغداد2009.
17. رحلات ابن الانام وسراج الدين المقدام-رواية- ستة أجزاء-تنتظر الطبع.
18. السلطان- رواية-أربعة اجزاء-تنتظر الطبع.
19. حكايات مسافر- مكتب الغفران-بغداد-2008.
20. قلعة السلطان وقصص أخرى- مكتب الغفران-بغداد-2008.

ج. الرسائل:

1. رسائل من أمريكا-دار الشؤون الثقافية- بغداد 1992.
2. رسائل الى ديوتيم- الجزء الاول-دار الشؤون الثقافية- بغداد 2000.








عمان ـ شارع الملك حسين ـ مجمع الفحيص التجاري
تلفاكس: ٠٠٩٦٢٦ ٤٦٤٧٥٥٠ خلوي: ٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٢٦٥٧٦٧
ص ب: ٧١٢٧٧٣ عمان ١١١٧١ ـ الأردن
بغداد ـ شارع السعدون ـ عمارة فاطمة
تلفاكس: ٠٠٩٦٤١ ٨١٧٠٧٩٢ خلوي: ٠٠٩٦٤ ٧ ٧٠٥٨٥٥٦٠٣
E-mail: dardjlah@yahoo.com
www.dardjlah.com


9789957712099